

شرح كتاب

عوائق الطلب

للشيخ
عبد السلام بن براهيم آل عبد الكريم
- رحمه الله -

شرح فضيلة الشيخ
د. سليمان بن سليم الله الشرجي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

**شرح كتاب
(عوائق الطلب)**

للشيخ

عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

- رحمه الله -

لمعالي الشيخ الدكتور:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

عوائق الطلب

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿أَمَّا بَعْدُ﴾

«فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

﴿ثم إنني أرحب بالجميع أهلاً وسهلاً بالذين أحبههم وأودهم في الله ذي الآلاء إنه لشرف لي أن ألتقي بهذه الطائفة التي نفرت من كل مكان يوجد فيه مسلمون ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبارك خطاهم، وأن يجعلهم مباركين حيثما كانوا، معاش الفضلاء إن من أعظم نعم الله علينا أن نجلس هذه المجالس نتطرح فيها المسائل ولها تدارس، وما أخرجنا بين الفينة والفينة إلى مجالس يذكر فيها بعضنا بعضاً وينشط فيها بعضنا بعضاً في سيرنا في درب العلم.

وتزِيل العوائق بإذن ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إن طلب العلم عظيم فضله، وإن العلم مكرم أهله، حسنة عاقبته، نعيم معجل في الدنيا، جنة الدنيا القائدة بفضل الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلى جنة الآخرة، مجالسه

رياض الجنة في الدنيا، والمجالسون فيه اصطفاهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** من بين عباده، يقول ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، امتنَّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** على نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالنعمة والمنن العظيمة، وكان من أجلها أن أتاه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، فتعليم الله **عَزَّ وَجَلَّ** العبد ما لم يكن يعلم من أفضل النعم، ومن أعظم المنن، وقال ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالذين يخشون الله حق الخشية وتعظم خشيتهم لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هم العلماء الذين عرفوا الله **عَزَّ وَجَلَّ** وعرفوا أسمائه وصفاته، وعرفوا عظيم شرعه وفصل شرعه، وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٨) ﴿آل عمران: ١٨﴾.

سبحان الله ما أعظم هذا الشرف، قرن الله **عَزَّ وَجَلَّ** العلماء بالملائكة الذين لهم فضلهم وقرن الجميع باسمه العظيم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهذه الآية دليل عظيم على فضل العلم وشرف أهله، وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فالله **عَزَّ وَجَلَّ** كتب الرفعة لمن قرن بين الإيمان والعمل فلهم درجات عالية على غيرهم في الدنيا والآخرة، وقال ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، قال الإمام القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "لو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم".

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، فعلامة إرادة الله الخير بعبد أن يفقهه في الدين، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بين أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**» رواه البخاري، هذا الحديث العظيم فيه فضل العلم من جهتين:
١- الجهة الأولى: أنه فضلة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فالذي يغترف من هذا العلم إنما يشرب من فضلة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

بِه والوجه الثاني: أن العلم كان كاللبن، واللبن به قوام الحياة، والعلم به قوام الدين، فإن العلم

يصحح القول والعمل، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْخَيْثَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضَلَ الْعَالَمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»**. رواه التِّرْمِذِيُّ، وأبو دَاوُدَ، وَابْنُ

مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، هذا الحديث العظيم جمع لِطَالِبِ الْعِلْمِ المجد، والخير، والفضل من أطرافه.

فطالب العلم في أول الطريق يسير في طريق الفضل، «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي بِهِ عِلْمًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»، هذا فضله وهو يسير في طلب العلم من أول خطوة يخطوها، ولا يزال كذلك ما دام باقياً على هذا السير في هذا الطريق العظيم الشَّريف.

ثم إن حصل العلم: **«ففضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»**، ويستغفر

له كل مخلوق من مخلوقات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأعظم ذلك وأشرفه أنه وارث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فهو يحمل ميراث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الأمة، قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"تَعْلَمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعْلَمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ، وَمَذَاكِرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ مِنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قَرَبَةٌ"**، أي: أنه خير كله.

ففي جميع أطرافه تؤجر بإذن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يا طالب العلم، والعلم مع عظيم فضله، وشريف أهله تجد أن السائرين في طريقه بالنسبة لعموم الناس قلة، وإنك لتتساءل ما الذي يصرف الناس عن هذا الطريق مع عظيم فضله وإدراك العقلاء خيره؟ والجواب: أن ذلك يعود أولاً إلى أن العلم ثقیل، فليس العلم طرفة تحكى، ولا قصة تروى، ولا أبيات تطرب وتعجب، وإنما هو أمانة تحمل، ثقیل عند استماعه، ثقیل عند حمله، لكنه والله نعيم على كل حال.

بِه والأمر الثاني: أن العوائق في طريقه كثيرة، وقل من يتنبه لها، فضلاً عن أن يعالجها، ولا شك

أن طالب العلم في خير ما وفقه الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلى قلب مخلص، وعزيمة صادقة، وهمة وثابة، وصبر وأناة، وتواضع ونشاط، ومعلم متقن رفيق مؤدب، ورفيق يساويه أو أعلى منه وكتب صحاح متقاة، وطريقة صحيحة في طلب العلم يسير عليها، ويتدرج ويتأصل بها، وما أحوج طالب العلم إلى هذه

الوصية النبوية العظيمة؛ حيث قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فأكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسأل موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسأل شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب» رواه الطبراني وصححه الألباني.

هذا الدعاء العظيم هو منهاج لطالب العلم ينبغي أن يحرص عليه الثبات في الأمر، أن يكون ثابتاً لا ترعزعه العواصف أبداً، والعزيمة النية الجازمة الثابتة في القلب في أمره في طلب العلم، وأن يحرص على ما تجب به رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من معاني الأمور، ومن هذا العلم العظيم، وعلى عزائم مغفرة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وطالب العلم إن أخلص لله جمع له بين موجبات الرحمة وعزائم المغفرة، **«وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ»**، نعم يا طالب العلم إن الله أنعم عليك بنعمة هي نعمة عظيمة هي نعمة طلب العلم، ثم أنتم الذين اصطفاكم الله لتكونوا في مدينة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد أنعم الله عليكم بنعمة فوق النعمة، فواجب أن تشكروها، والله يا أبنائي إنه من الخسارة العظمى أن تضيعوا أوقاتكم في هذه الجامعة وفي هذه المدينة في غير ما يزيدكم علماً وتقاة، وخيراً وقرّباً إلى ربكم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، اشكروا الله على هذه النعمة.

ألا تتذكرون كم من زملائكم وإخوانكم ومن سبقوكم ومن جاؤوا بعدكم من يقدمون إلى هذه الجامعة، ويتمنون المنية العظيمة، بل والله إني رأيت شيخاً كبيراً يبكي لأنه يريد أن يذهب إلى الجامعة الإسلامية، فهل من اللائق بكم، وقد اصطفاكم الله للقبول في هذه الجامعة أن تضيعوا أوقاتكم؟ وأن تجعلوها فيما لا ينفعكم؟ لا وربّي، وإني لا أظن بكم إلا خيراً، **«وحسن عبادتك»**، حسن العبادة طالب العلم ينبغي أن يكون من أحسن الناس عبادة، يحرص على أن تكون عبادته موافقة لعبادة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما أمكنه ذلك، فأسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن يجعلنا كذلك، والشيخ عبد السلام البرجس رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب البديع النافع الذي بين أيدينا أفاد طالب العلم حول أمرين

كبيرين:

١- الأول: العوائق في طريق طلب العلم.

به والثاني: السير الصحيح في طريق طلب العلم، مما يجعل طالب العلم يسير في طريق طلب العلم سيرًا صحيحًا متخفف من العوائق، نشيطًا قوي المهمة حتى يصل إلى منتهى هذا الطريق، ولا منتهى له إلا جنات رب العالمين، وقد اخترت أن نقرأ هذا الكتاب في هذه الدورة المباركة وأن أعلق عليه تعليقًا بما يتناسب مع الوقت، فنقرأ ما سطره الشيخ **رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** ونبدأ مباشرة بالعائق الأول.

← قال الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في رسالته عوائق الطلب:

"العائق الأول: طلب العلم لغير وجه الله تعالى".

الشرح:

العلم عبادة، ومن أعظم ما يتقرب به إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** والعبادة لا يقبلها الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلا إذا كانت خالصة له، وابتغي بها وجهه، ومن قبل الله عبادته يسر حاله، وزاده منها، **فأول عائق يقعد بطالب العلم عن طلب العلم أو يبعده عن فضل العلم:** أن يطلب العلم لغير وجه الله تعالى، يبتغي به لقبًا من ألقاب التفضيم، كأن يقال: الشيخ، أو الدكتور، أو نحو ذلك، أو يبتغي به مكانة عند الناس، أو شهرة أو مالًا أو عرضًا من أعراض الدنيا الفنية، وإنك لتعجب كيف يترك العبد ما هو مطلوب منه إلى نيات تحصل ولو لم يطلبها، فمن أراد الآخرة فعليه بالعلم مخلصًا لله، ومن أراد الدنيا فعليه بالعمل مخلصًا لله.

أنت يا عبد الله لو أخلصت لله في طلب العلم، جاءتك الدنيا وهي راغمة، لكن إن طلبت العلم لغير وجه الله تعالى خسرت الأولى والآخرة، وقد أحسن الشيخ **رَحِمَهُ اللَّهُ** إحسانًا عظيمًا في بيان هذا العائق.

← قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»".

الشرح:

هذا الحديث المتفق عليه أصل في النيات وأقسامها ومآلاتها، وفيه بيان أن الأعمال إنما تقوم بالنيات، فروح الأعمال النية، وأن العبد لا يحصل من العمل إلا ما نواه، فإن نوى وجه الله نال فضل الله، وإن نوى غير ذلك فليس له إلا ما نوى قد يحصله وقد لا يحصله، نعوذ بالله من سوء الحال.

← **قال رحمه الله: "وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم، فهانوا عليهم. سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: «من جعل الهموم همّاً واحداً، هم آخرته، كفاه الله هم الدنيا، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها هلك»".**

الشرح:

هذا الأثر والحديث رواه ابن ماجه وابن أبي شيبة والبيهقي وأبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في الجامع، وحسنه الألباني، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: **"لو أن أهل العلم صانوا العلم"**، أي حفظوا العلم عن المهانة، وبذلوه بقصد صحيح، ابتغاء ما عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **"ووضعوه عند أهله"**، هذه ثمرة الأولى، فلا خلاصهم لله **عَزَّ وَجَلَّ** يذلونه لمن هو أهل له، ولو كان من أفقر الناس، لا يخلصون به أهل الشرف، ولا الأغنياء، وإنما ينظرون إلى طالب العلم على أنه طالب علم، فيقبلون الجميع، ويذلون العلم للجميع، لأنهم يبتغون ما عند الله، لا ما عند الناس، **"لسادوا به أهل زمانهم"**، أي لكانوا هم أهل الشرف والعز والمكانة، بدون أن يقصدوا هذا، وبدون أن ينووا هذا، الله كتب لهم الرفعة، إن أخلصوا به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

"ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا"، لأن مقاصدهم فسدت، وأرادوا بالعلم الدنيا، فصاروا يبحثون عن أهل الدنيا، إن اتاهم الفقير عبسوا ونفروا، وإن أتاهم الغني هللوا وكبروا، يأتي الفقير يريد أن يحفظ القرآن على يد الشيخ المشهور عند الناس، فلا يجد له مجالاً، ويأتي الغني وهو لا يحسن أن يقرأ فيجد له قبولاً ودلاً، هذا إنما هو لفساد النية، نعوذ بالله من فساد النية، **"ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم، فهانوا عليهم"**، يعني هانوا على أهل الدنيا، هذا الذي أشرت إليه؛ أن طالب العلم إذا أخلص لله أته الدنيا ورزق الآخرة بإذن ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، أما إذا فسدت نيته فليس له إلا

ما نوى، قد يحصل وقد لا يحصل، لكن لن تكون له في القلوب مهابة، ولن تكون له عند أهل الخير محبة.

وقد استدلل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الخير: **«من جعل الهموم هماً واحداً، هم آخرته»**، فكانت نيته الآخرة، **«كفاه الله هم الدنيا»**، جمع الله عليه أمره، وجعل غناه في قلبه، **«وأنته الدنيا وهي راغمة»** كما جاء في الحديث الآخر، **«ومن تشعبت به الهموم»**، ما جعل همه الآخرة، سبحانه الله الآخرة هم واحداً، أما الدنيا فهموم لا تنتهى لها، ولا راحة لصاحبها، ولا راحة لقاصدها، يفرق الله عليه أمره، ويجعل فقره بين عينيه فلا يقنع أبداً، ولا يأتيه من الدنيا إلا ما كتب الله له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
← قال رحمه الله: "إن أحق ما اعتنى طالب العلم به معالجة النية، وتعهدها بالإصلاح، وحمايتها من الفساد.

وذلك لأن العلم إنما اكتسب الفضل لكونه خالصاً لوجه الله تعالى، إما إذا كان لغيره فلا فضيلة فيه، بل هو فتنة ووبال وسوء عاقبة، وقد علم أن قبول الأعمال متوقف على إخلاصها وصلاحها كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] الآية".

📖 الشرح:

وطالب العلم يعبد الله، الواجب عليه أن يكون مخلصاً لله.

← قال رحمه الله: "فإذا قصد الطالب بالعلم عرض الدنيا، فقد عصى ربه، وأتعب نفسه، وباء بإثمها، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له.
قال الحسن - رحمه الله -: من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها، ومن طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظه منه".

📖 الشرح:

"من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها" بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم تفته الدنيا، "ومن طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظه منه"، قد يصيبه وقد لا يصيبه.

← قال رحمه الله: "وقال الزهري: فذال حظه منها، وأبغ من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه -: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». يعني: ربحها".

📖 الشرح:

رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وصححه الألباني، **«من تعلم علماً»**، هذه نكرة في سياق الشرط فتعم، **«مما يبتغى به وجه الله»**، يعني ولو شيئاً يسيراً، **«مما يبتغى به وجه الله»**، هذا العلم الشريف الذي ندرسه، **«لا يتعلمه»**، لا غرض له ولا قصد، **«إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**، يعني لا يجد ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً، وهذا يدل على أن طلب العلم ولو قل، إذا كان مما يبتغى به وجه الله **عَزَّ وَجَلَّ** لغير وجه الله كبيرة من كبائر الذنوب، فاحذروا يا طالب العلم، احذروا أن تكون مكبلاً بنفسك بهذه الكبيرة، وتخلص من ذلك مقبلاً على ربك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

← **قال رحمه الله: "قال ابن عطاء - رحمه الله - فيمن تعلم لغير الله: جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه، وسبباً في تحصيل العقوبة لديه، ولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادي والحاضر، وفي الخبر: إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا والرفعة فيها كمن رفع العذرة بملعقة من الياقوت، فما أشرف الوسيلة وما أخس المتوسل إليه"**.

📖 الشرح:

الذي يطلب العلم لغير وجه قد ينفع الله به عبداً، لكنه هو لا ينتفع ولا يرتفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولذلك يحرص طالب العلم على الإخلاص لله **عَزَّ وَجَلَّ** حرصاً شديداً.

← **قال رحمه الله: "وقال سحنون: كان ابن القاسم قلما يعرض لنا إلا وهو يقول: اتقوا الله فإن قليل هذا الأمر - يعني العلم - مع تقوى الله كثير، وكثيره مع غير التقوى قليل"**.

📖 الشرح:

وهذا سر تقديم الإيمان على العلم، في قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فإن العلم مع التقوى نافع رافع، ولو قل، وإن العلم مع غير تقوى لا خير فيه لصاحبه، بل هو وبال عليه وإن كثر.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون المصري يقول: كان العلماء يتواظفون بثلاث، ويكتب بعضهم إلى بعض: من أحسن سريرته، أحسن الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه".

📖 الشرح:

يعني هذه الوصايا الثلاث من أعظم الوصايا، "من أحسن سريرته، أحسن الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس"، ولذلك أنا دائماً أقول لنفسي وإخواني: احرص على أن يكون الذي بينك وبين الله عامراً، ثم لا تبالي بأحد، والله لا يضرك ذم دام ما دمت على سير صحيح، وكان الذي بينك وبين الله عامراً، احرص على أن يعلم الله من قلبك ما يرضيه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإذا فعلت ذلك، فاعلم أنك قد نلت مرضيه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وقال ابن المبارك - رحمه الله -: أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم: الحفظ، ثم: العمل، ثم: النشر".

📖 الشرح:

فمما يسقط طالب من الفضل إلى الذل، ومن الوعد بالجنة إلى الوعيد بالنار أن يبتغي بطلب العلم غير وجه الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فلا ينوي إرضاء الله، ولا ينوي نفع نفسه بإصلاح أقواله وأعماله، ولا ينوي الاستقامة على دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فعن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله **صَلَّى** الله عليه وسلم يقول: «من طلب العلم ليحاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي **صَلَّى** الله عليه وسلم قال: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار» رواه ابن ماجه، وصححه الألباني، فالذي يطلب بالعلم عرضاً من الدنيا أو مكانة عند الناس متوعد بالنار، وهذا يدل على أن هذا كبيرة من كبائر الذنوب، لكن إذا عرفنا هذا وتفقد أحدنا نفسه ووجد شيئاً من الخلل، فما الحل؟ هل الحل أن يهرب من المعركة ويسلم نفسه للشيطان؟ هل الحل أن يترك طلب العلم؟ لا، وكلا.

﴿ **وإنما الحل:** أن يجاهد نفسه في الإخلاص، وألا يرضى بنية دنية، بل دائماً يكون مع نفسه في جهاد، وأن يكثّر من سؤال الله الإخلاص في جوده، في خلواته، في آخر الليل، ينطرح بين يدي الله: يا رب اخرجني من هذا، يا رب أنقذني من هذا، يا رب ارزقني الإخلاص، ومن صدق الله صدقه الله.

ومن كان على هذه الحال لا بد أن تحسن عاقبته، ولا بد أن يؤثر فيه العلم، وهذا معنى قول السلف: **"إنهم طلبوا العلم للدنيا فأبى العلم إلا أن يكون لله"**، ليس المقصود أنه يحصل أن يرجع طالب العلم عن النية الفاسدة بمجرد طلب العلم، لا، وإنما بالصدق مع الله، ومجاهدة النفس، والدعاء، والإطراح بين يدي الله **عَزَّ وَجَلَّ** إذا كان ذلك كذلك فإن الله يصدقه ويؤثر فيه العلم بإذن الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ولذلك قال الشيخ:

← **قال رحمه الله:** "وهنا أمر ينبغي التنبيه عليه، ألا وهو: أن جماعة من السلف قالوا: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة، وطلبنا هذا الأمر ليس فيه نية ثم جاءت النية بعد، ومن طلب العلم لغير الله يأبى عليه حتى يصيره إلى الله، ونحو هذه العبارات. وقد شرح الذهبي - رحمه الله تعالى - هذه العبارات شرحاً مفيداً فقال على قول معمر بن راشد، كان يقال: أن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى العلم حتى يكون لله. نعم يطلبه أولاً والحامل له حب العلم وحب إزالة الجهل وحب الوظائف ونحو ذلك، ولم يكن عيب وجوب الإخلاص فيه ولا صدق النية، فإذا علم حبه نفسه".

✍ **الشرح:**

فإذا علم بوجوب الإخلاص وخطورة الأمر لا يترك نفسه للنية الرديئة، ولا يستسلم للنية الخبيثة، بل يبدأ يجاهد، حتى يتخلص من هذه النية.

← **قال رحمه الله:** "فإذا علم حبه نفسه وخاف من وبال قصده فتجيء النية كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم وعلامة ذلك".

✍ **الشرح:**

" وعلامة ذلك"، علامة توبته وأبوته وصدق إخلاصه.

← **قال رحمه الله:** "أنه يقصر من الدعاوي ومن قصد التكثر بعلمه ويذري على نفسه".

✍ **الشرح:**

بمعنى أنه لا يحب الظهور، ولا يحب أن يغلب غيره، وإنما يحب أن يستنير بالعلم، وإذا أمكنه أن يفيد غيره فعل.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن تكثر أو قال أنا أعلم من فلان فبعداً له".

🔖 الشرح:

طالب العلم إن تكثر بما عنده، ورأى أنه خير من غيره سقط، وسيأتينا إن شاء الله في مسألة العجب والكبر.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن ذلك ما يذكره بعض القصاص من أن رجلاً خطب امرأة ذات منصب وجمال فأبىته لفقره وقلته حسبه ففكر بأي الأمرين ينالها أبلمال أم الحسب فاختار الحساب وطلب له العلم حتى أصبح ذا مكانة فبعثت عليه المرأة تعرض نفسها فقال: لا أؤثر على العلم شيئاً".

🔖 الشرح:

نعم لما ذاق حلاوته رأى أشهى في نفسه من المرأة الحسناء.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وذلك لأن العلم أرشده إلى تصحيح النية والأعمال الصالحة فدخل

في عداد: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

فتورع بترك امرأة كان طلب العلم لأجلها، إعلماً بصدق قصده وسلامة مأربه، ومما قلته في هذا المعنى من الأبيات:

إليك يرفع المأسور شكوى	رجاء المن أو أخذ الفداء
فقد غلت مباسمكم يديه	إلى الأذقان بعد العلاء
وقد أضحى صريعاً في هواكم	قعيد البيت في حر التنائي
براه الشوق والهجران منكم	وأدمى قلبه طول العناء

🔖 الشرح:

هذا حال من عشق شيئاً من الدنيا، من مال أو امرأة أو غير ذلك، فإنه في الغالب يكون أسيراً له ولا يصل إليه، ثم قال: "فسل القلب عنهم"، من هنا حال النجاة من أسر عشق شيء من الدنيا، وقد لا يستطيع العاشق أن يصل إليه.

قال:

فسل القلب عنهم في رياض تحل العبد أطباق السماء

هذا الذي ينسيك ما يفوتك من الدنيا: مجالس الذكر، مجالس العلم، مجالسة أمثالكم من طلاب العلم، هذه جنة الدنيا، والله إن أعظم متع الدنيا على الإطلاق طلب العلم للمخلص لله **عَزَّ وَجَلَّ**، العامل بعلمه.

قال:

وتسموا بالوضيع إلى المعالي وتكسوا العري أثواب الثناء

كم من إنسان لا يعرف طلب العلم فعرف لا أنه أراد أن يعرف، لكن الله رزقه هذا الشرف، وصار ذا مكانة.

← **قال رحمه الله:**

وتبني للفتى ذكراً مشيداً	وتحيي رسمه طول ابقاء
رياض بالمعارف قد تباغت	وفاق جمالها جيد الظباء
إذا ما حلها العشاق يوماً	تولى عنهم عشق النساء
وقد كانوا قديماً في قيود يذل لفكها	
تحلت بالشيوخ إذا تبدوا	أناروا الكون من شرف الضياء

✍ **الشرح:**

"تحلت"، يعني تجملت هذه المجالس بالشيوخ، العلماء والأساتذة الذين يدرسون.

← **قال رحمه الله:**

تحلت بالشيوخ إذا تبدوا	أناروا الكون من شرف الضياء
شيوخ بالمعارف قد تغذوا	وسيط الحلم في مجرى الدماء
لهم في العلم صولات وسبق	وفي الأفعال جد في خفاء

✍ **الشرح:**

وهذا من حليتها وجمالها، بل لا تحلو المجالس إلا بطلاب العلم، وأنا أقول دائماً: لا أزال أرجو الخير للأمة ما رأيت الطلاب يحملون كتبهم ومحاربههم مقبلين على طلب العلم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ:

وفيهما الطالبون إذا غشوها أثاروا المسك من حسن البهاء
تراهم نحوها يسعون جهداً رجاء المن أو أخذ الفداء

✍ الشرح:

"رجاء المن"، بدخول الجنة، "أو أخذ الفداء"، بمغفرة الذنوب، وطالب العلم إن أخلص

موعود بالأمرين: موعود بالجنة وموعود بمغفرة ذنبه.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "فاحذر الحذر أيها الطالب من الشرك في النية، فإن الله تعالى يقول - كما في الحديث القدسي -: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»".

✍ الشرح:

رواه مسلم، فيا طالب العلم احرص على أن تكون مع الله بأن تكون لله، فإن كنت كذلك كان الله معك، فإنك بطلب العلم إنما تذكر الله بما يحب الله، وحسن ظنك بالله **عَزَّ وَجَلَّ** ففي ذلك عزك ونجاتك وشرفك وعلو مقامك، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» رواه البخاري، وطالب العلم إنما يذكر الله في ملأ هو من خير من يجالسون، فهو موعود بأن يكون الله معه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

واحذر يا طالب العلم احذر من الشرك في النية فإن ذلك سبيل أن يتركك الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومن تركه الله كيف يفلح؟ وكيف يسعد؟ وكيف ينجو؟ وكيف يشرف؟ وقد قال الله كما أخبرنا رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»، نعوذ بالله من سوء الحال.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "قد أجمع العارفون على أن استحكام الهلكة إنما يكون إذا خلى الله بين الإنسان ونفسه، عندئذ تتخطفه الشياطين، وتتشعب به المسالك، وتكون النار أولى به.

قال حماد بن سلمة - رحمه الله -: من طلب الحديث لغير الله مكر به.
 وإن صلاح النية في العلم لأكبر معين عليه، كما قال أبو عبد الله الروذباري: العلم
 موقوف على العمل، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص يورث الفهم عن الله عزَّ
 وَجَلَّ".

📖 الشرح:

لا شك أن الإخلاص لله في طلب العلم سبب كل خير في العلم، والله إن طالب العلم أحياناً
 يقرأ المسألة فلا يفهمها، فيرجع إلى نفسه، ويجاهد نفسه ويحاسبها في النية حتى إذا صفت فهم المسألة،
 إذا أردت أن تفهم المسائل، إذا أردت أن تحفظ، إذا أردت أن توفق في العلم فارجع إلى قلبك في مسألة
 النية، في مسألة الإخلاص، والله كلما صفى القلب بالنية كلما قبل الخير من العلم، حفظاً وفهماً.

← قال رحمه الله: "وفي سنن الدارمي عن إبراهيم النخعي أنه قال: من ابتغي شيئاً من
 العلم يبتغي به وجه الله آتاه الله منه ما يكفيه.
 تنبيه: يستدل بعض الناس على أن العمل يورث العلم دون تعلم".

📖 الشرح:

ما يسمونه العلم اللدني، وهو علم يحصل بلا سابقة طلب، كما يقول بعض المعاصرين اليوم:
 افتح فمك يفتح الله عليك، ويزعمون أن من أراد الخير اتق الله عمل الصالحات يرزق العلم بمجرد
 هذا.

← قال رحمه الله: "يستدل بعض الناس على أن العمل يورث العلم دون تعلم، بقوله
 تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال في تفسير المنار نقلاً عن شيخه: اشتهر على ألسنة المدعين للتصوف في معنى
 هاتين الجملتين: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] أن التقوى تكون سبباً للعلم".

📖 الشرح:

أي التقوى بمجرد ما بدون طلب العلم، أما التقوى مع الطلب فلا شك أنها سبب لزيادة البركات
 والخيرات، لكن أن يظن أن مجرد التدين ومجرد التعبد يحصل به العلم بدون طلب هذا الظن الفاسد،
 الباطل، المخالف للمنقول والمعقول.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وبنوا على ذلك أن سلوك طريقتهم، وما يأتون به فيها من الرياضة، وتلاوة الأوراد، والأحزاب: تثمر لهم العلوم الإلهية.. بدون تعلم".

📖 الشرح:

هم يزعمون أنهم بهذه الأوراد وهذه الطرائق في الأذكار، وهذا الرقص الذي يفعلونه يفتح عليهم بعلم لم يسبق إليه، بأمرين:

📖 الأمر الأول: يقولون: ما يضع الله في قلوبنا، الشيخ يصع في قلبه علم ما عرفه الأولون.

📖 والثاني: الرؤى، والله لا تظنوا أن الذي في الكتب قد انتهى، أسمع لشيخ معاصر منهم يقول: جاءني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فأعطاني هذه الصيغة في الصلاة عليه التي ما فاز بها أحد قبلي، قلت: والله ما جاء بها إلا الشيطان، فهم يزعمون هذا، ويقيدون أتباعهم بهذا العلم المزعوم، الذي لا أصل له ولا حقيقة.

بل من أعجب ما قاله أحد المشايخ، قال: أين التقوى في أفعالهم أصلاً حتى لو كانت دلالة الآية على ما يقولون صحيحاً، فإن الذي يفعلونه ليس من تقوى الله، بدع ومحدثات لا يقبلها الله ولا يحبها الله، بل يردها على أصحابها.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "ويرد استدلالهم بالآية على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنه لا يرضى به سيبويه - وله الحق في ذلك - لأن عطف: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] على: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ينافي أن يكون جزاءً له، ومرتباً عليه لأن العطف يقتضي المغايرة.

الثاني: أن قولهم هذا عبارة عن جعل المسبب سبباً والفرع أصلاً، والنتيجة مقدمة".

📖 الشرح:

يعني أن التقوى إنما تكون بالعلم، ومن اتقى الله فتح الله عليه من البكرات إذا بذل الأسباب.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "فإن المعروف المعقول أن العلم هو الذي يثمر التقوى، فلا تقوى بلا علم، فالعلم هو الأصل الأول وعليه المعول. وهذا كلام جيد".

📖 الشرح:

لا شك أنه كلام جيد، وأقوى منه أن يقال: لو كانت التقوى بمجرد سبب لنيل العلم لما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤]، لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إمام المتقين، ما حقق أحد التقوى مثله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فلو كانت التقوى بمجرد محصلة للعلم لكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** محصلاً لعلم البشر كله، لكن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قال له: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤]، لو كانت التقوى كافية ما الحاجة للدعاء؟ لا حاجة للدعاء.

وأيضاً قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم**» رواه الطبراني وحسنه الألباني، «**إنما العلم بالتعلم**»، هذا نص أن العلم لا يكون إلا بالتعلم، وقال ابن مسعود كما عند البزار: «**إنما العلم بالتعلم**»، وعند البيهقي قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن أحذكم لم يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم**».

← **قال رحمه الله**: "ويضاف إليه إيضاحاً: أن العمل يكسب القلب قوة إيمانية، فيستوعب من العلوم، ويدرك من الفوائد، ما لا يدركه من تأخر عن هذه الرتبة، وهذا مشاهد بالعيان ومدرَك بالحس. أما من تعبد لله وترك العلم، وقال: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهو جاهل لا تجاربه الرعاع في جهله، والله الحافظ".

✍ **الشرح:**

ولذلك النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**»، وفي الحديث الآخر قال: «**وفضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»، فضل العالم على العابد الذي يتعبد بلا علم كفضل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على أدنى الأمة، وهذا أمر ظاهر بين. ← **قال رحمه الله**: "العائق الثاني: ترك العمل".

✍ **الشرح:**

ترك العلم مع شرفه وسيلة، والعمل لإرضاء الله غايته، وطلب العلم زرع وسقي، والثمر مقصود، فما يعوق طالب العلم عن الطلب أو ينزله عن عالي الرتب: أن يتعلم ولا يعمل، فيقيم على نفسه الحجة، ويرفع عن نفسه العذر، ولا ينتفع، بل يعود ذلك عليه بالوبال.

« قال رَحِمَهُ اللهُ: "عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»". »

📖 الشرح:

هذا الحديث رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

« قال رَحِمَهُ اللهُ: "وأخرج الخطيب نحوه وفيه: «وعن علمه ماذا عمل فيه»". »

📖 الشرح:

وأخرج الخطيب والدارمي والبخاري والطبراني: «وعن علمه ماذا عمل فيه»، إذا إذا تعلمنا فإننا على يقين أننا سنسأل، فسنسأل بين يدي ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن علمنا ماذا عملنا فيه، فلنعد الجواب، والموفق منا من حرص على أن يكون الجواب صواباً.

« قال رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: «لا تكون عالماً حتى تكون متعالماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تتكون به عاملاً»". »

📖 الشرح:

"وفيه"، أي وفي اقتضاء العلم العمل، وفي الجامع لابن عبد البر، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن أخوف ما أخاف إذا وقف على الحساب أن يقال لي: قد علمت فماذا عملت فيما علمت». »
« قال رَحِمَهُ اللهُ: "وفيه عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل". »

📖 الشرح:

" وإلا ارتحل"، إما بذاته بأن يحرم طالب العلم الذي حصله، وإما بفضله، فيبقى العلم ويرحل الفضل، إذا الأمران قرينان: الإخلاص قبل الطلب، وأثناء الطلب، والعمل بعد العلم، على ما يأتي تفصيله.

« قال رَحِمَهُ اللهُ: "وعن الفضيل بن عياض أنه قال: لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً. العمل بالعلم مدعاة لحفظه وثباته". »

📖 الشرح:

والله إن العلم الذي تعمل به يثبت، وإن العلم الذي لا تعمل به يتفلى، ولذلك من أفضل طرق مراجعة حفظ القرآن: أن تراجع في قيام الليل، وأنتم ترون الإمام الآيات التي يقرأها في الصلاة يكون أكثر إتقاناً لها، فالعمل قيد للعلم، إذا اصطد العلم بالطلب فيقده بالعمل يبقى ويثبت.

← **قال رحمه الله: "كما أن عدم العمل مدعاة لضياع العلم ونسيانه، ولذلك قال الشعبي - رحمه الله -: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم. وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: إني لأحسب العبد ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.**

وقد كان دأب السلف الصالح العمل بالعلم، وبذلك حازوا قصبات السبق، وبورك في علمهم، ولذا قال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله تعالى -: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلموا القرآن والعمل جميعاً".

📖 **الشرح:**

هذا يدلن السلف الصالح رضوان الله عليهم، ما كانوا يقرءون القرآن طرباً، ولا كانوا يقرءون القرآن في المناسبات، وإنما كانوا يقرءون القرآن تقرباً إلى الله بهذه القراءة وتفقهاً في دينه، فكانوا يعشرون الآيات عشراً عشراً يقرءونها، ويفهمونها، ويعملون بما فيها، ويحفظونها، ولذلك عند أئمة القراءة إذا أردت ضبط الحفظ فإما أن تعشر وإما أن تخمس، إما أن تعشر عشر آيات عشر آيات، وإما أن تخمس خمس آيات خمس آيات، وتحرص على فهم معانيها، فإن هذا مما يعين على حفظها. فإن عملت ثبت، فمن أعظم ما يثبت به الحفظ أن تعمل بما في الآيات.

← **قال رحمه الله: "وترك العمل بالعلم على قسمين: الأول: ترك الائتمار بالواجبات الشرعية، وترك الانتهاز عن المحرمات الشرعية".**

📖 **الشرح:**

يعني أن يعلم طالب العلم أن الأمر واجب ولا يفعله من غير عذر، كأن يعلم طالب العلم أن صلاة الجماعة واجبة، ويصلي في المہجع من غير عذر، والعجيب أن بعض الطلاب يتعب نفسه في الفرار من المشرف أكثر من تعبته لو ذهب إلى المسجد، فإذا علم طالب العلم أن هذا الأمر واجب فإنه يجب عليه أن يكون ألزم الناس لهذا الواجب، ما دام مستطيعاً، أو يعلم أن هذا الأمر حرام ويفعله ولا يجتنبه ولا يتركه، فهذا كبيرة في حقه، ولو كان الذنب صغيراً في ذاته، يعني بالنسبة لطالب العلم، لا

يعني هذا أن طالب العلم يكون معصوماً، بل طالب العلم من بني آدم، وكل بني آدم خطاء، ولكنه يكون حريصاً قبل الوقوع أو أباً بعد الوقوع، لا يتجارى مع معصية ولا يتساهل في معصية.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فهذه كبيرة من الكبائر، وعليه تحمل الآيات والأحاديث المتوقعة من ترك العمل بالعلم.
القسم الثاني: ترك المستحبات، وترك اجتناب المكروهات فهذا قد يذم".

📖 الشرح:

" فهذا قد يذم"، لأنه حرمان من الفضل مع العلم، من علم بالفضل والحسنات والأجور وترك يذم، لأنه حرم نفسه من الفضل مع علمه.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فهذا قد يذم ولكن لا يدخل في أحاديث الوعيد، إلا أن العالم وطالب العلم لهما المحافظة على السنن، واجتناب المكروهات، والله أعلم".

📖 الشرح:

لا شك أن طالب العلم لا يجعله طلبه العلم جميع الأحكام في حقه واجبات ومحرمات، بل فيه مستحبات ومكروهات، لكن اللائق بطالب العلم أن يحافظ على الواجبات، وأن يترك المحرمات، وأن يتزين بالمستحبات، وأن يترفع عن المكروهات، ما أمكنه السبيل إلى ذلك.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال ابن الجوزي - رحمه الله -: والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذات الدنيا، وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً مع قوة الحجة عليه.
العائق الثالث: الاعتماد على الكتب دون العلماء".

📖 الشرح:

الكتب وسيلة من وسائل جمع العلم، وحفظ العلم، ومعينة جداً لطالب العلم، ومفيدة له، لكن لا يستغني طالب العلم بها عن مجالسة العلماء والشيخ، والأخذ عنهم، ولا ينفرد بفهمها، فكثير ممن في الكتب يحتاج إلى عالم فتاح، ومن انفرد بقراءة الكتب يخطئ في فهم بعض ما فيها، والغالب على من يكون تلقية العلم عن الكتب فقط أو من الكتب فقط أن يتصف بثلاث صفات مذمومة جداً:

📖 الأولى: العجب والغرور.

📖 الثانية: سوء الأدب.

﴿ والثالثة: الشذوذ في الآراء.﴾

والله من تركوا العلماء وانفردوا بأنفسهم في المكتبات يقلبون الأوراق يقرؤون في المخطوطات والمطبوعات، لا يجالسون العلماء، ولا يتلقون عن العلماء، ولا يتأدبون بأدب العلماء، ولا يعرفون طريقة العلماء الغالب عليهم أن تجد فيهم هذه الصفات الثلاث مجتمعة: عجب وغرور، وتكبر وترفع، حتى أنك قد تأتي لأحدهم فتقول: الشيخ يدرس، يقول: لا حاجة لنا به، وسوء أدب، فتجد عندهم جرأة كبيرة على العلماء وعلى تسفيه كلام العلماء، وعلى الشذوذ في الآراء، تجد عندهم شذوذاً كثيراً في الآراء.

ويكون الخطأ غالباً عليهم، فالأصل في طلب العلم التلقي عن الشيوخ ضبطاً للعلم وفهماً له مع اقتباس الأدب، ثم مدارس العلم مع الأقران، وأما الكتب فمعينة ووسيلة للزيادة، قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **"المعروف أن من كان شيخه كتابه فخطئه أكثر من صوابه"**، قال هذه العبارة التي تعرف، يعني السائرة، الشيخ له فيها وجهة نظر سيذكرها الآن، قال: وهذا صحيح أن من لم يدرس على أهل العلم ولم يأخذ عنهم، ولا عرف الطريقة التي سلكوها في طلب العلم، فإنه يخطئ كثيراً، ويلتبس عليه الحق بالباطل، أما كون خطئه أكثر فهذا محل نظر، لكن على كل حال أخطائه كثيرة، لكونه لم يدرس على أهل العلم، ولم يستفد منهم، ولم يعرف الأصول التي ساروا عليها، فهو يخطئ كثيراً، ولا يميز بين الخطأ والصواب في الكتب.

وقال إمام زماننا الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: **"العلم لا يؤخذ من الكتب مباشرة، إنما الكتب وسائل، أما حقيقة العلم فإنها تؤخذ من العلماء"**، فالموفق من طلاب العلم من جعل الأصل التلقي، ورفض ذلك برفقة يدارسهم، وكتب يدرس فيها.

﴿ قال رَحِمَهُ اللهُ: "يرى بعض الطلبة من نفسه قدرةً على أخذ العلم من الكتب دون الرجوع إلى العلماء في توضيح عباراتها، وحل مشكلاتها وهذه الثقة بالنفس داء طالما رأينا صرعاة منبؤذي".﴾

﴿ الشرح:﴾

فمنهم من ينقطع عن الطلب، يبقى فترة ثم ينقطع عن الطلب، ومنهم من ينحرف عن الجادة، فيكون طلبه سبباً لانحرافه، على غير المقصود، وعلى خلاف المقصود من طلب العلم، ومنهم من يقتله الغرور، حتى قد يتسمى بالإمام، وهو أجل من قطة ذلك، ومنهم من يضعف في تدينه ويبدأ يلين في دينه شيئاً فشيئاً.

"وعن عداد أهل العلم مبعدين"، وكلما خلا بنفسه مع الكتب كلما ازداد نفوراً من مجالس العلم، حتى يبلغ به الأمر أن ينفر من العلماء أنفسهم، لا يحب رؤيتهم، ولا يحب مجالستهم، تراه إذا رأى الشيخ مقبلاً فرميماً أو يساراً، ولعلكم ترون شيئاً من هذا كما رأينا شيئاً منه.

← **قال رحمه الله: "ما أكثر خطأهم، وأبعد نجعتهم وأشنع تناقضهم.**
قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام."
 ✍ **الشرح:**

نقله عنه النووي في مقدمة المجموع.

← **قال رحمه الله: "وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية تشيخ الصحيفة."**

✍ **الشرح:**

يعني الذين يتعلمون من الصحف والكتب ويصبحون شيوخاً ما عرفوا طريقة الشيوخ، ولا عرفوا أدبي الشيوخ، فإذا علموا يعلمون العلم المجرد مع خطأ فيه، ولا يكسبون طلابهم طريقة العلماء، ولا أدب العلماء، فتلك والله البلية، وهذه الرذيلة.

← **قال رحمه الله: "أي الذين تعلموا من الصحف.**
قال الفقيه سليمان بن موسى: كان يقال: لا تأخذوا القرآن من المصحفين، ولا العلم من الصحفيين.
وقال الإمام سعيد بن عبد العزيز التنوخي - وكان يساوى بالأوزعي - : كان يقال: لا تحملوا العلم عن صحفي، ولا تأخذوا القرآن من مصحفي."

✍ **الشرح:**

وقال النووي: **"قالوا: ولا تأخذ العلم ممن كان أخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ أو شيخ حاذق"**، فمن لم يأخذه إلا من الكتب يقع في التصحيف، ويكثر منه الغلط والتحريف، وبالتالي يتقل هذا إلى طلابه إن درسهم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وقديماً قيل: من كان شيخه كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه".

🖋️ الشرح:

وهذه عبارة مشهورة موجودة في كثير من الكتب المتقدمة.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: ولقد أحسن أبو حسان النحوي حينما قال:

يظن الغمر أن الكتب تجدي أخا فهم لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم

🖋️ الشرح:

والله أحياناً يقف العالم وليس طالب العلم يقف العالم مع نصف سطر أسبوعاً وأكثر يحيره، لا يستطيع أن يصوره فضلاً عن أن يفهمه، فضلاً عن أن يفهمه، ولذلك دائماً أنا أقول للإخوة: أنتم ما دمتم في مرحلة التلقي فأنت في نعمة، ستدركون يوماً هذه القضية، الشيخ قد يقضي يوماً ويومين ليلقي عليك مسألة في سطرين، يقلب الكتب ويراجع، والله أقول هذا من باب التمثيل، إني أحياناً أقرأ في المسألة أكثر من مائة وعشرين كتاباً لأخرج بسطر ونصف في بعض المسائل، ليس كل المسائل، قليل منها، فالشيخ وهو عالم ومتمكن من فنه يتحير في بعض العبارات، فكيف بطالب العلم؟! ولذلك طالب العلم كمال قالوا: يحتاج إلى كتب صحاح وعالم فتاح، لأن الكتب لا بد أن تنتقى، ولا يقرأ طالب العلم في أي كتاب، ثم الكتب تحتاج إلى عالم فتاح يفتح على طالب العلم في قراءتها.

← قال رَحِمَهُ اللهُ:

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى تكون أضل من توما الحكيم

وقد شرح العلماء المعني الذي من أجله ألزم الطالب أخذ العلم من أفواه العلماء، فمن ذلك قول ابن بطلان - رحمه الله -: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم وهي معدومة عند المعلم وهي: التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ والغلط بروغان البصر.

🖋️ الشرح:

الكتب ولا سيما المخطوطات يقع فيها التصحيف والتحريف والخطأ في الرسم، وسبق النظر، فأحياناً يسبق نظر الناسخ إلى كلمة فيقفز سطرًا وسطرين مما يخل بالمعنى، وأحياناً يزيد لا في أمر مثبت،

وأحياناً يثبت مع وجود لا النافية ونحو ذلك، وطالب العلم إذا ما قرأ على شيخ ما يدرك هذا، يفهم فهماً سقيماً غالباً، أذكر أن طالب علم صغير ابتدئ بالطلب، فقال لي مرة، قال لي: يا شيخ اليوم الحمد لله عملت بالسنة، قلت: ما هي السنة؟ قال: ذهبت واشتريت جوزاً جديداً من النعل، لم؟ قال: لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نهى أن يمشي الرجل في نعل واحد، فظن المسكين في لعن واحد أنها في جوز من النعل الواحد، بل لا بد أن يكون عنده زوجان من الأحذية، وأمثال هذا كثير.

قد يكون الحديث منسوخاً وهو في صحيح البخاري، ويأتي طالب العلم يقرأ بدون أن يرجع إلى المشايخ وبدون أن يقرأ أيضاً حتى شروح المشايخ المتمكنين ويفهم كما جاء ليب أحدهم قال: يا شيخ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نهى عن الدباء، فهم المسكين أنه نهى عن الدباء يعني عن أكل الدباء، وكان الدباء أحب أكل إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لا فهم المعنى ولا علم أن هذا النهي منسوخ، فطالب العلم بحاجة إلى الشيوخ، إلى أن يتلقى عن أهل العلم، وإنما تكون الكتب معينة.

← **قال رحمه الله: "وقلة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يقرأ".**
 ✍ **الشرح:**

من آفات طلاب العلم التي كثرت في زماننا عدم معرفة النحو مما يجعل الطالب لا يضبط ما يقرأ فضلاً عن أن يفهمه، لأن النحو مفتاح الفهم، فالذي يضبط النحو ينضبط له الفهم المتعلق باللغة، ولذلك أنا دائماً أقول للإخوة: **فوائد أصول الفقه:** أنه يعين على فهم الكتب.

← **قال رحمه الله: "وكتابة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، فهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قرأته على المعلم".**

✍ **الشرح:**

فالمعلم والشيخ هو الذي يتولى هذا التعب، ويحرر له المسائل، ويقربها إليه.

← **قال رحمه الله: "إذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان، وهو ما أردنا بيانه."**

وقد ذكر قبل هذا الوجه خمسة أوجه في بيان العلل التي من أجلها صار التعلم من أفواه الرجال أفضل من التعلم من المصحف".

🖋️ الشرح:

يعني أن المذكور هنا هو الوجه السادس، وهو أوضحها وأجلها.

← قال رحمه الله: "فالتنظر في شرح إحياء علوم الدين.

العائق الرابع: أخذ العلم عن الأصاغر".

🖋️ الشرح:

الذي يدرسون العلم منهم أكابر ومنهم أصاغر بلا شك، هذا أمر لا مرية فيه، لكن كيف يعرف الأكابر ويعرف الأصاغر؟

🖋️ أول أمر: ينظر أولاً إلى حال الشخص من جهة السنة والبدعة، فمن كان من أهل السنة مع علم عنده فهو من الأكابر، فالسنة تكبره، ومن كان من أهل البدع فهو من الأصاغر، فالبدعة تصغره، فالمبتدع صغير وإن كان كبيراً في سنه، أو علمه، والمتعالم صغير وإن كان كبيراً في نفسه، ومن لم يكن له في علمه حظ من علم الصحابة فهو من الأصاغر، لا يكبر معلم بلا حظ عنده من علم الصحابة رضوان الله عليهم.

🖋️ ثم بعد ذلك: بعد أن ميزنا الأكابر من المعلمين وهم من هم من أهل السنة مع علم عندهم، وميزنا الأصاغر وهم من هم من أهل البدع، وإن كثر علمهم، ننظر في هؤلاء الذين كبرتهم السنة، فمن كان غزير العلم كبير السن فهو من أكابر أهل السنة، ومن كان دون ذلك في علمه، أو كان صغيراً في سنه فهو من أصاغر أهل السنة، إذاً أهل السنة الذين يعلمون منهم أكابر ومنهم أصاغر، ومن عُرف بالسنة والعلم أخذ عنه العلم وإن كان صغيراً في السن، لكن الأكابر مقدمون عليه، فعند التعارض يترك الأصاغر من أجل الأكابر، ولا يترك الأكابر من أجل الأصاغر، وإن كان في كل خير.

كما أن الأصاغر من أهل السنة من طلاب العلم لا يرجع إليهم في الأمور التي تحتاج إلى تأني ودقة نظر وحكمة كنوازل الأمة، والفتن، وكالحكم على الرجال، ولا سيما من عرف بالسنة والعلم، وأخذ عنه العلم، فهذه المسائل لا يرجع فيها إلى الأصاغر وإلا لأفسدوا أكثر مما يصلحون، فالشباب يكون

له في الغالب حظ لنفسه، وإن كان من أهل السنة، وحسد لأقرانه، بل ومن يفوقه، مع حدة وعجلة، وعندما لا ينضبط هذا الأمر رأيت العجب العجاب، وفقدت البركة في العلم والدعوة إلا ما شاء الله، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**البركة مع أكابرکم**» رواه ابن حبان والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

إذاً لا يعني هذا العائق أن الصغير في السن ممن عنده علم من أهل السنة لا يؤخذ عنه العلم ولا يجلس إليه وينفر عنه، لا وكلاً، بل يجلس إليه، ويؤخذ منه العلم، الطالب إذا تخرج في الجامعة الإسلامية وهو على سنة، وليس كل من درس في الجامعة كان على سنة، لكن إذا تخرج في الجامعة الإسلامية وهو على سنة مناهج الجامعة بنيت على سنة، لكن بعض الناس يجرمون أنفسهم، يردون الماء العذب ولا يشربون، ويذهبون ليشربوا من ماء متكدد، فطالب الجامعة إذا تخرج على سنة في الغالب لا يكون كبيراً في السن، لكنه والله حقيق بأن يدرس، وحقيق بأن يجلس إليه، وقد قال لي الشيخ ربيع مرة في بيته: الطالب إذا تخرج من الجامعة ولا يعرف له زلل عالم.

لأنه بالنسبة لغيره لا شك أنه نور كبير، لكن الأصاغر لا يقدمون على الأكابر، ولا يكون الأصاغر قطاع طريق بين طلاب العلم والأكابر، وإنما يكونون في منزلتهم، وأيضاً لا يرجع إليهم في الفتاوى حتى يهجر العلماء، ويصبح هذا الشاب الصغير هو الذي كتب له من أوربا، ومن آسيا، ولا يرسل للعلماء، ويقدم هذا الصغير في مسائل مهمة تحتاج إلى دقة نظر وغزارة علم وأناة، والله مرة كنت مع الشيخ ربيع حفظه الله في بيته لوحدنا أنا والشيخ صالح السحيمي، قال: فلان من الناس أعرف عليه مؤاخذات من خمسة عشر عاماً، والله ما أظهرتها، وأنا أناصحته وأرسل إليه وأكلمه بيني وبينه، خمسة عشر عاماً والشيخ يصبر يرجو.

اليوم يسمع بذلة لشيخ لعله ذل بكلمة فتسن السكاكين، ولا تجد هذا من الكابر أبداً، وإنما تجده ممن صغر سنه وإن كان عنده علم وكان على سنة، ولذلك إنزال الناس منازلهم في العلم من أعظم ما ينبغي أن يعتني به طالب العلم، وعلى ضوء هذا نفهم كلام الشيخ.

← **قال رحمه الله: "لقد فشّت ظاهرة أخذ العلم عن صغار الأسنان بين طلاب العلم في هذا الزمن.**

وهذه الظاهرة - في الحقيقة - داء عضال، ومرض مزمن يعيق الطالب عن مراده، ويعوج به عن الطريق السليم الموصل إلي العلم".

📖 الشرح:

ليس مراد الشيخ الأخذ عن الصغار في السن مع العلم، وإنما مراده الأخذ عنهم مع الإعراض عن الأكابر، ومن الفتن التي تحصل الآن في البلدان ويجب أن تحذروها: أن هناك من يمكر بأهل العلم في البلد فيأتي وينشأ صراعاً بين الجيل الأول من أهل السنة والجيل الثاني من أهل السنة، فتتفرق الكلمة، ويتعالم الجيل التالي ويتكبرون على الجيل الأول ويحصل الصراع ويضعف العلم في البلد، ولو أردت أن أسمي بلداناً لسميت، لذلك والله من العيب أن شيخاً عالمًا من أهل السنة في بلدك هو الذي علمك السنة، وهو الذي رباك على السنة، وهو الذي أخذت عنه علمًا أهلك لأن تلتحق بالجامعة، ثم تتخرج وترجع وترفع نفسك فوقه.

أهل السنة حقًا يعرفون لكبارهم من أهل السنة قدرهم، هذا مراد الشيخ، وليس مراد الشيخ مجرد الأخذ عن الأصاغر.

← قال رحمه الله: "وذلك لأن اخذ العلم عن صغار الأسنان، الذين لم ترسخ قديمهم، ولم تشب لحاهم في وجود من هو أكبر منهم سنًا، وأرسخ قدمًا، يضعف أساس المبتدئ".

📖 الشرح:

هذا في حد ذاته في ظني ليس معيياً، فعدد من صغار الصحابة رضوان الله عليهم درسوا مع وجود كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وعدد من التابعين درسوا مع وجود عدد من الصحابة رضوا الله عليهم، لكن الإشكال أن يعرض عن الكبير من أجل الصغير، وأن يكون الصغير قاطعاً الطريق بين طلاب العلم والأكابر، كأن يؤتى لطالب العلم إذا جاء إلى المدينة قديماً عندما كان شيخنا وزهرة المدينة الشيخ العباد يدرس.

يقول للطالب: ما يصلح لك مجلس العباد، اذهب إلى فلان، أدرس عنده في البيت هذا العيب، أن يكون الصغار قطاع طرق بين طلاب العلم والكبار، أما أن يدرس الصغار مع وجود الكبار فهذا ليس

معيناً، عبر التاريخ وقع، ولم يعبه أحد من السلف، ولكن العيب كل العيب أن يعرض عن الأكابر من أجل الأصاغر، أو يستغنى بالأصاغر عن الأكابر.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "ويحرمه الاستفادة من خبرة العلماء الكبار".

📖 الشرح:

وحكمتهم أيضاً، من خبرة الأساتذة الكبار وحكمتهم، والله إن المشايخ الكبار يصدون طالب العلم الصغير عن أشياء لو قالها لأضرت به ضرراً عظيماً، والله كم مرة يأتينا واحد من الشباب وقد جمع شيئاً طيباً، لكن عندما نظرنا فيه، قلنا: لا يصلح أن تخرجها، أنصحك بعدم إخراجها، بعد سنة أو سنتين يأتي جزاك الله خيراً، والله لو خرج لكنت الآن في كذا وكذا، فطالب العلم إذا لم يعرف طريق العلماء الكبار لا يتأصل بالعلم، لأن الغالب في الأصاغر أنهم ينقلون عن شيوخ، نسخة جديدة من شرح الشيخ، هذا الغالب في الصغير أول ما يبدأ.

ثم يبدأ يزيد، فالأخذ عن الأصاغر لا يؤصل طالب العلم، نعم يتتبع ويستفيد، لكنه لا يتأصل بطريقة أهل العلم، والغالب أن من اقتصر على الأصاغر يدخل كما خرج، لا يحصل ما ينبغي.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "واكتساب أخلاقهم التي قومها العلم والزمن، إلي غير ذلك من التعليقات التي يوحى بها أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث يقول: ولا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم، وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم، وشرارهم هلكوا".

📖 الشرح:

هذا الأثر رواه البيهقي وابن عبد البر في الجامع، وجاء عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: "ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، ولم يقم الصغير على الكبير، فإذا قام الصغير على الكبير فقد"، رواه اللالكائي وابن عبد البر في الجامع، "ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، ولم يقم الصغير على الكبير"، يعني لم يتقدم الصغير على الكبير، "فإذا قام الصغير على الكبير"، وتقدم الصغار على الكبار، "فقد"، يعني فقد هلكوا.

وروى ابن عبد البر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **"إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير"**، وسيدكره الشيخ، لكن ذكرته هنا للمناسبة.

﴿من علل الأخذ عن الأصاغر والاعتناء والاستغناء بهم عن الأكابر: أنه سيسفه الأكابر عند طلاب العلم، إما لفظاً وإما إحساساً، إما أن يقال: دع من هذا الزمان تعداه، هذا وإن كان عنده علم لكنه يجهل أشياء كثيرة، وسبحان الله لا شك أن كل عالم يجهل أشياء كثيرة، ونحو هذا.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وثبت الحديث عن أبي أمية الجمحي أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن من أشراط الساعة أن يلتبس العلم عند الأصاغر»"**.

﴿الشرح:

رواه ابن المبارك في الزهد، والطبراني واللالكائي والداني وابن عبد البر في الجامع، وصححه الألباني، والغالب ما يضاف إلى أشراط الساعة مما يخالف ما قبله أنه للذم، فمن الأشياء المذمومة: أن يلتبس العلم عند الأصاغر، والأصاغر هنا إما أهل البدع، وإما صغار أهل السنة استغناء بهم عن الأكابر.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وقد اختلف الناس في تفسير: الصغار هنا على أقوال ذكرها ابن عبد البر في الجامع، والشاطبي في الاعتصام.**
وقد ذهب ابن قتيبة - رحمه الله تعالى - إلى أن الصغار هم صغر الاسنان، فقال على أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأنف الذكر: يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ".

﴿الشرح:

لو زدنا شيئاً هنا لكان حسناً، طبعاً ليس لنا أن نزيد في النص، لكن نزيده من جهة المعنى: **"لا يزال الناس من أهل السنة بخير"**.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث"**.

﴿الشرح:

لماذا أقول: أهل السنة؟ لأن كبار السن والعلم إذا كانوا على بدعة أضّر على الأمة من العصاة، **ولذلك من الأسرار المأخوذة من السنة:** إذا نظرت إلى الفرق بين الخوارج والأئمة الظلمة تجد أن الخوارج أمر بقتالهم، والأئمة الظلمة أمر بالكف عنهم، وعدم الخروج عليهم، ما الفرق؟ قال العلماء: الفرق أن الخوارج أهل بدعة، والأئمة الظلمة أهل معصية، وأهل البدعة أضّر على الإسلام والمسلمين من أهل المعاصي، ولذلك تعجب عجباً شديداً الآن كيف أن أهل البدع يجاهرون ببدعهم ويتباكون على المعاصي، لا شك أن المعاصي شر، لكن البدع أشر وأضر.

فالكبار من أهل البدع صغار في العلم ولو كثر علمهم، لأنهم أضّر على دين الإنسان من الجرب.

← **قال رحمه الله: "لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب، وحِدته وعجلته، وسفهة، واستصحب التجربة والخبرة".**

📖 **الشرح:**

أنا أظن هذا: لأن الشيخ قد زالت عنه مِعة الشباب، أظن النص هكذا، ما رجعت، لكن أتذكره هكذا: مِعة الشباب.

← **قال رحمه الله: "لأن الشيخ قد زالت عنه مِعة الشباب، وحِدته وعجلته، وسفهة، واستصحب التجربة والخبرة، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، فمع السن: الوقار، والجلالة، والهيبة. والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه، وأفتى هلك وأهلك."**

قد روى ابن عبد البر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: قد علمت متى صلاح الناس، ومتى فسادهم: إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من الكبير تابعه الصغير فاهتديا".

📖 **الشرح:**

👉 **يعني أن من أسباب الفرقة:** أن يأتي العلم عن الأصاغر، لأن الكبير يأبى على الصغير، أما إذا جاء العلم عن الأكابر فإن الجميع يخضعون له، ويجمعون عليه.

← **قال رحمه الله: "وروى ابن عبد البر - أيضاً - عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإن كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير".**

📖 **الشرح:**

تضبط بضبطين: سفه الصغير الكبير، أي تعاضم وتعالى وتكبر الصغير على الكبير، وتضبط: سفه الصغير الكبير، لأن الكبير يأبى أن يتقدم عليه الصغير، والمقصود أن هذا من أسباب الفرقة والاختلاف، وإذا وقع الاختلاف ضعفت الهمم، من آفات الاختلاف: أن تضعف الهمم، همم طلاب العلم.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ففي هذين الأثرين تعليل لعدم الأخذ عن الصغير آخر غير الذي ذكره ابن قتيبة، وهو: خشية رد العلم إذا جاء من الصغير. وعلى كل فإن لفظة: الصغير عامة تتناول الصغير حساً ومعنى".

📖 الشرح:

يعني الصغير بعلمه والصغير بسنه.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا الحكم ليس على إطلاقه في صغير السن، فقد أفتي ودرس جمعة من الصحابة والتابعين في صغرهم بحضرة الأكابر، إلا أن هؤلاء يندر وجود مثلهم فيمن بعدهم، فإن وجدوا وعلم صلاحهم، وسبر علمهم فظهرت رصانته، ولم يوجد من الكبار أحد يؤخذ عنه العلوم التي معهم، وأمنت الفتنة، فليؤخذ عنهم. وليس المراد أن يهجر علم الحدث مع وجود الأكابر كلا، وإنما المراد أنزال الناس منازلهم، فحق الحدث النابغ أن ينتفع به في المدارس والمذاكرة، والمباحثة... أما أن يصدر للفتوى، ويكتب عليه بالأسئلة، فلا وألف لا، لأن ذلك قتل له، وفتنة، وتغدير".

📖 الشرح:

والأعظم من هذا أن يرسل إليه ليسأل عن فتوى عالم كبير، ما رأيكم في فتوى الشيخ فلان كذا وكذا، وهو لا يصح أن يكون من أبنائه من جهة السن، وهذا لا شك أنه خطأ من جهة ذاته، وأيضاً خطر على الصغير، وقد تذلل بذلك قدمه فيما لا تحمد عقباه.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال الفضيل ابن عياض - رحمه الله -: لو رأيت رجلاً اجتمع الناس حوله لقلت: هذا مجنون، من الذي اجتمع الناس حوله لا يحب أن يجود كلامه لهم".

📖 الشرح:

لا شك أن حاجة الناس إلى الرجل وإقبالهم عليه واجتماعهم حوله فتنة له، فيحتاج أن يجاهد جهاداً عظيماً، لأنه إن لم يتبته قد يحاول أن يرضيهم ولو على حساب الحق، متأولاً أولاً، ثم متوسعاً، فقد يخاف الرجل إذا التف حوله الطلاب إن خالفهم أن يتركوه، قد يمتلأ المسجد إذا جاء الشيخ، ثم

يعلم الشيخ أن الطلاب ما يحبون كذا وما يحبون كذا، فيخاف أن ينصرفوا عنه، ويفرغ المسجد من الطلاب فيعطي الطلاب ما يحبون، الأمر لا شك أنه فتنة، وأن الإنسان ينبغي أن يجاهد نفسه جهادًا عظيمًا حتى يسلم، مع كثرة الدعاء والاستغفار، فهذا هو مراد الفضيل **رَحِمَهُ اللَّهُ**، ولذلك يا طالب العلم وطن نفسك على أن يكون الحق أحب إليك من الناس أجمعين.

وطن نفسك على أن تدريسك لواحد أو اثنين وأنت تقول ما تعلم أنه الحق خير لك من تدريس الآلاف، فإن رزقك الله عددًا فهذا فضل الله، لكن احذر النفس، واحذر الفتنة، قد يبتلى الشيخ بتلاميذه، ويأمرهم يميلون إلى شيء، ثم يخالف أن لو خالفهم أن يتركوه، فيبدأ يميل إليه ويميل إلى قوله، وقد يؤصل قومه ونحو هذا، لذلك لا بد أن نتنبه إلى أنفسنا، ونجاهد أنفسنا، فإننا في خير ما حرصنا على إرضاء الله، فإن حرصنا على إرضاء الناس ولو بخلاف الحق فقد فتنا نعوذ بالله من الفتنة.

← **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقال أيضاً: بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شغلوا، وإذا شغلوا فقدوا وطلبوا، فإذا طلبوا هربوا".**

🔗 **الشرح:**

ما أجمل هذا، **"بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا"**، وفي العمل شغل، ما عندهم كثير فراغ، **"وإذا شغلوا فقدوا، وإذا فقدوا وطلبوا، فإذا طلبوا هربوا"**، أم يحبون الشهرة، وليس المقصود أنهم لا يبذلون العلم، لكن المقصود أنهم لا يحبون أن يعرفوا وأن يشهروا، يحبون أن ينتشر الخير، ولذلك يقل الحسد فيهم، لأن الواحد منهم يفرح أن الخير عرف وشهر على لسان غيره، وسلم هو، فالواحد منهم يود أن يتعلم الناس الخير والحق على لسان غيره، نسأل الله الإخلاص.

← **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فيا أيها الطلاب إن أردتم العلم من منابعه فها هم العلماء الكبار الذين شابت لحاهم، ونحلت جسومهم وذبلت قواهم في العلم والتعليم، الزمواهم قبل أن تفقدوهم، واستخرجوا كنوزهم قبل أن توارى معهم، وفي الليلة الظلماء يفقد البدر".**

🔗 **الشرح:**

وها نحن نرى الكواكب تتساقط، كوكبًا في إثر كوكب، ويا طالب العلم إذا لقيت عالمًا فاحرص على أن تستخرج منه أفضل ما عنده، لتجر له أجرًا عظيمًا ولتفوز أنت بالأجر العظيم، قد تسأل الشيخ

سؤالاً فيجيب بجواب ينتشر في الأفاق تنتفع به الأمة، وتكون أنت مأجوراً، لأنك الذي تسببت في هذا الأمر.



السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَمَانُ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿أَمَّا بَعْدُ﴾

فأرحب بإخواني وأحبتي في هذا المجلس، وأسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن يجعله نافعا لنا، وشاهداً لنا لا علينا، نواصل القراءة في هذا الكتاب البديع النافع: عوائق الطلب، للشيخ/ عبد السلام البرجس **رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** رحمة واسعة.

← **قال رحمه الله: "تنبيه: في هذا الزمان اختل معيار كثير من العامة في تقييم العلماء، فجعلوا كل من وعظ موعظة بليغة، أو ألقى محاضرات هادفة، أو خطب الجمعة مرتجلاً... عالماً يرجع إليه في الإفتاء ويؤخذ العلم عنه".**

﴿الشرح﴾

بل ويرد كلام العلماء بكلامه، وأعظم بلاء وأشد وبألاً من ذلك ما حدث في أيامنا هذه من تقديم المشاهير وصناع المحتوى حتى في الدين، وتلميع الأصاغر فتجد تكفيراً من الخوارج القعدة يسمى بالإمام والمجدد، ويرد على الأكابر ويحيي منهج الحدادية ويلمع للناس ولطلاب العلم، ولا شك أن هذا بلاء عظيم، وينبغي على المسلمين أن يعرفوا عمن يأخذون دينهم، إذا كان الأولون يقولون: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنه في أيامنا هذه أعظم وألزم، فقد قدم من لا يستحق التقديم، وتكلم في دين الله من ليس أهلاً لأن يتكلم.

وصار لهم أتباع ومتابعون، وقد يروج كلامهم على كثير من الناس، فينبغي تنبيه المؤمنين، والتشديد على هذه القضية أن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

← **قال رحمه الله: "وهذه رزية مؤلمة، وظاهرة مزرية، تطاير شررها وعم ضررها، إذ هي في إسناد العلم إلى غير أهله، وإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. فليحذر الطالب في أخذ العلم عن هؤلاء، إلا إذا كانوا من أهل العلم المعروفين".**

﴿الشرح﴾

﴿مقصود الشيخ أن ينبع هنا تنبيهاً لطيفاً وهو: أنه قد يكون الخطيب المفوه والواعظ البليغ عالماً

أيضاً، فيجمع بين الأمرين، لا تنافر بين هذا وهذا، فالشيخ إنما يقصد من عرف بالوعظ وبالخطابة من غير أن يعرف بالعلم، لكن قد يوجد بل يوجد وعاظ مجيدون وخطباء بلغاء فصحاء مع العلم الغزير السني السلفي الصافي، فالشيخ يشير هنا إلى هذا.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فما كل من أجاد التعبير كان عالماً ولا كل من حرف وجوه الناس إليه بالوقية في ولادة أمور المسلمين، أو بذكر النسب لوفيات الإيدز ونحوها يكون عالماً".

﴿الشرح:

هذا ما أشغلونا به وسموه فقه الواقع في زمن من الأزمان، وكنت أسميه الفقه الواقع، الحمد لله كانت له فترة، ثم خمد بحمد الله كثيراً.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وليس معني ما تقدم - كما يفهم البعض - عدم الاستماع إليهم، أو الانتفاع بمواعظهم، كلا، إنما المراد عدم أخذ العلم الشرعي عنهم وعدم رفعهم إلى منازل العلماء، والله الموفق".

﴿الشرح:

قلت هذا: إذا سلموا من البدعة والانحراف عن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم فكان عيبهم إلا كالعلم فقط، فإنه يستمع لهم في مواعظهم وخطبهم، أما من عرف بالبدعة وسب السلفيين ومنهج السلف والتنفير منه، فلا يسمع له، فهذا لا يسمع له، ولا يقدم عند عامة الإنسان ممن حوله من أسرته وأقاربه ونحو ذلك.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "العائق الخامس: عدم التدرج في العلم".

﴿الشرح:

هذا ما يسمى بعدم التأصيل العلمي، وبعدم الأخذ بالتدرج، المطلوب من طالب العلم أن يسير سيراً صحيحاً، فيبدأ بصغار المسائل قبل كبارها، وفي كل فن أو كتاب يدرسه أو فصل يدرسه يحرص على معرفة كلياته، والأصل فيه، حتى يرد إليه الجزئيات، وينبغي على طالب العلم أن ينظر في الفن الذي يناسبه، فنون العلم الشرعي متعددة، والناس يختلفون فيما يناسبهم من هذه الفنون، فيختار الفن الذي يناسبه ويحتاجه أهل بلده، فلو فرضنا أن طالباً جديداً قدم الجامعة وأكثر شيوخه في بلده

من خريج الجامعة مثلاً من كلية الحديث، ويتوارثون هذا، كلما جاء الطلاب من هذا البلد ذهبوا إلى كلية الحديث، وفي هذا خير، نقول له: اختر كلية الشريعة، لأن أهل بلدك يحتاجون عالماً في هذا الفن. حتى نغني أهل البلد عن أهل البدع في مختلف الفنون، ثم ينبغي أن يعرف العلم الإجمالي لهذا الفن بمعرفة مقدماته، فيخرج نفسه من حد الجهل بالفن إلى العلم الإجمالي قبل أن يدخل في العلم التفصيلي، كذلك ينبغي لطالب العلم إذا اختار فناً أن يعرف الكتب الأصول في هذا الفن، ليعتني بها، ويعرف الوسائل لهذا الفن، ليتعلمها، ولا يخلي نفسه من معرفة بقية الفنون، على قاعدة عند أهل الشأن يقولون فيها: **"اعرف عن كل فن شيئاً، واعرف عن فن كل شيء"**، في علوم الشريعة لا تخلي نفسك من أن تعرف شيئاً منها، وركز على فنك فاعرف كل شيء عنه، هكذا تكون مجيداً، وتكون نافعاً.

مع الحرص على ما يقوي الملكة العلمية، هذا يسمى التأصيل العلمي، التدرج، وإذا لم يعتني طالب العلم بالتدرج وخلط وخبط فإنه إما أن يضيع وقته بدون أن يحصل ما يريد، وإما أن ينقطع عن الطلب، وكما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: **"كيف يطير ولما يريش"**، الطائر يتدرج، يخرج له أولاً الريش الذي يحمله، الزغب، ثم يخرج له الريش الذي يطير به، فإذا طار قبل هذا الريش فإنه يقع وتكسر عنقه، هكذا طالب العلم، ينبغي أن يبدأ بالتدرج حتى يحصل، فعدم التدرج في العلم إما أن يسبب التأخر في العلم؛ بحيث يضيع الوقت الكثير ولا يحصل إلا قليلاً، لا يحصل طالب العلم إلا قليلاً.

وإما يؤدي إلى الانقطاع عن العلم، لا ينبغي لطالب العلم أن يكون كالطائر كل يوم على شجرة، وينقر على كل شجرة نقرة، بل ينبغي أن يثبت ويصبر، فإذا ابتدئ كتاباً يتمه، وإذا جالس شيخاً يلزمه، أما يميل مع الريح فإذا جاءه أخ قال: نذهب للشيخ الفلاني، قال: معك، جاءه آخر قال: ما رأيك نذهب إلى فلان؟ قال: معك، لا يديم الدراسة على شيخ، ولا يديم القراءة في الكتب ممن أسميهم أنا بأصحاب أوائل الكتب، تجده يعرف من كل كتاب أوله، ويجهل آخره، وما أكثر هؤلاء اليوم، هذا لا يصلح في التدرج في طلب العلم.

← قال رحمه الله: **"لا ترى أحداً من العلماء ينازع في مبدأ التدرج؛ لأنه الوسيلة الناجحة لأخذ العلم وفهمه."**

وهذا مأخوذ من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦) ﴿[الإسراء: ١٠٦]﴾.

🔖 الشرح:

من حكم نزول القرآن منجماً على ثلاث وعشرين سنة: تثبيت العلم وتيسير حمله، قال الله عز وجل: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي أنزلناه شيئاً فشيئاً، لا جملة واحدة، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي على تثبت وترسل، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، تأكيد لما تقدم أن القرآن لم ينزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة واحدة، وإنما نزل مفرقاً لهذه الحكمة: لتثبيت العلم وتيسير حمله.

← قال رحمه الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢) ﴿[الفرقان: ٣٢]﴾.

🔖 الشرح:

فهذه الحكمة في كون القرآن نزل منجماً، تثبيت فؤاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتيسير حفظه، وكان تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابه متدرجاً، فكان يعلمهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ينزل به الوحي، وكان ذلك على سبيل التدرج، وفي هذا درس لنا: أن طال بالعلم لا ينبغي أن يحرص على أخذ العلم جملة، فإن من أخذ العلم جملة ذهب عنه الدفعة، بل يأخذه على سبيل التدرج.

← قال رحمه الله: "قال الزبيدي نقلاً عن الذريعة في وظائف المتعلم: يجب أن لا يخوض في فن حتي يتناول الفن الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه حاجته فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم".

🔖 الشرح:

هذا عند سعة الوقت، أما عند ضيق الوقت أو وجود الفرصة كوجود شيخ يدرس فيحرص طالب العلم على الترتيب، فيرتب وقته، وإن جمع بين فنين في وقت واحد، لأن الوقت ضيق، يعني الطالب الذي يأتي إلى المدينة إنما يأتي لسنوات معدودة، لا يستطيع أن يتدرج إلى ثلاثين سنة، أربعين سنة، فالوقت ضيق، فهنا يحرص على الترتيب، فيرتب ولا يسير في طريق طلب العلم يعني كيفما اتفق.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وعلى هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾

[البقرة: ١٢١].

أي لا يتجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً، فيجب أن يقدم الأهم فالأهم من غير إخلال في الترتيب.

وكثير من الناس منعوا الوصول لتركهم الأصول، وحقه أن يكون قصده في كل علم يتحراه التبليغ به إلى ما فوقه، حتى يبلغ النهاية.

والتدرج يكون في أمرين:

الأول: تدرج بين الفنون.

الثاني: تدرج في الفن الواحد.

📖 الشرح:

"الأول: تدرج بين الفنون"، بين علوم الوسائل وعلوم الغايات، فيعرف علوم الوسائل وكيف

ترتب، ويعرف علوم الغايات وكيف ترتب، فيتدرج في هذا، "الثاني: تدرج في الفن الواحد"،

يتعلم كيف ينتقل من الأقل إلى الأكثر، من الأصغر إلى الأكبر، يبدأ بصغار المسائل ويحرص على

الكليات والأصول، يضبطها ويحفظها.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وكلا الأمرين يخضع الاجتهاد المعلم ن وطبيعة المكان".

📖 الشرح:

ولذلك نصح طالب العلم في بداية الطلب أن يجلس مع شيخ متمكن يعرض عليه حاله، ليرسم

له الشيخ منهج التدرج في العلم، وإذا وضع له الشيخ منهجاً فليثبت عليه، وليلزمه، وليصبر ويتأنى

ولا يعجل، فإنه لا يحصل العلم إلا من رزق الصبر على الانتداب، وإن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ بعد رمضان

ستكون لي محاضرة في المسجد النبوي بعنوان: "طريق الحصول على العلم المأمون"، المقصود

بها: كيف يرسم طالب العلم لنفسه طريقاً في الفنون المشهورة، بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ لأن هذا مما يحتاجه

طلاب العلم كثيراً، يعني كيف يرسم لنفسه منهجاً في التفسير، في الحديث، في الفقه، هذه الثلاثة هي

الأصول المهمة، والعقيدة الرابعة.

وهذا إن شاء الله سيكون بعد رمضان في النصف الثاني من شهر شوال.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "ولذا فإن إشارات العلماء في التدرج تختلف باختلاف مذاهبهم،

وأماكنهم، وسأضع بين يدي القارئ نماذج من توجيهاتهم ليأخذ ما يلزمه، بعد موافقة شيخه ومعلمه.

روى ابن المديني عن عبد الوهاب بن همام عن ابن جريح قال: أتيت عطاء وأنا أريد هذا الشأن، وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير، فقال لي ابن عمير: قرأت القرآن؟ قلت: لا، قال: فاذهب فاقرأه، ثم اطلب العلم".

📖 الشرح:

أصل العلوم القرآن، وينبغي أن يحرص المربون والمعلمون على تحفيظ الناشئة القرآن، حتى إذا بلغ عشر سنين أو نحو ذلك يكون حافظاً للقرآن، ليتفرغ بعد ذلك للتعلم في بقية العلوم، وعيب على طالب العلم ألا يعتني بالقرآن حفظاً وتلاوة، ينبغي لطالب العلم أن يجعل له ورداً يقرأه في كل يومًا وليلة، وأن يحرص على أن يحفظ القرآن ولو أن يلزم نفسه بحفظ آيتين في كل يوم إن لم يكن قد أتم الحفظ، يلزم نفسه إلزاماً أنه في كل يوم يحفظ آيتين، يرددها وهو في السيارة، يرددها وهو في الطريق، إذا جاء يصلي الليل يصلي بهاتين الآيتين، وهكذا.

لكن أن يغفل عن القرآن هذا عيب كبير يلحق طالب العلم.

← قال رحمه الله: "فذهبت فغبرت زماناً، حتى قرأت القرآن، ثم جئت عطاءً، وعنده عبد الله، فقال: قرأت الفريضة؟".

📖 الشرح:

"فذهبت فغبرت زماناً"، أي غيبت زماناً، "قرأت الفريضة؟"، كانوا يعتنون بعلم الفرائض، لأنه أول علم يفقد.

← قال رحمه الله: "قلت: لا، قال: فتعلم الفريضة، ثم اطلب العلم، قال: فطلبت الفريضة ثم جئت، فقال: الآن فاطلب العلم".

📖 الشرح:

الآن انظر التدرج، أولاً أمره بحفظ القرآن، ثم أمره بما يرى أنه فرض عين وهو حفظ الفريضة حتى يبقى هذا العلم قائماً، ثم قال له: اطلب العلم.

← قال رحمه الله: "وقال أبو العيناء: أتيت عبد الله بن داود، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث قال: أذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن، قال: أقرأ".

📖 الشرح:

"قال: أقرأ"، يختبره في حفظه.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "قال: أقرأ ﴿وَائْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١]، فقرأت العشر حتى أنفذته، فقال لي: أذهب الآن فتعلم الفرائض، قلت: قد تعلمت الصلْب والجد، والكبر، قال: فأيما أقرب إليك من أخيك أو عمك؟ قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أمي وعمي من جدي، قال: أذهب الآن فتعلم العربية، قال: قد علمتها قبل هذين، قال: فلما قال عمر - يعني حين طعن - يا لله وللمسلمين، لم فتح تلك وكسر هذه؟".

📖 الشرح:

"قال: فأيما أقرب إليك"، يختبره.

هذا اختبار أيضًا في العربية، قال: "يا لله وللمسلمين"، لو قال: يا لله للمسلمين، لكان هذا أسلوب استغاثة، والمعلوم أن أسلوب الاستغاثة تفتح اللام الداخلة على المستغاث به، وتكسر اللام الداخلة على المستغاث له، يا الله للمسلمين، يا لأنها دخلت على المستغاث به، واللام مكسورة للمسلمين لأنهم المستغاث لهم، هذا ما فيه إشكال، يا لله للمسلمين، لكن الموجود هنا ليس هذا، الموجود هنا: "يا لله وللمسلمين"، فصار في تكرار النداء، يا لله ويا للمسلمين، فلماذا فتح في الأولى وكسر في الثانية؟ طبعًا هذه دقيقة جدًا، لأن يا لله للمسلمين، هذه يعرفها من يعرف العربية من يعرف النحو في أسلوب الاستغاثة، لكن: "يا لله وللمسلمين"، هي تشبه أسلوب الاستغاثة، لكن حصل فيها اختلاف من جهة دخول واو العطف التي حصل فيها تكرار النداء.

فما السبب؟ هذه دقيقة من دقائق العربية، إن اجاء وهذا يدل على أنه تمكن من العربية.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "قلت: فتح تلك اللام على الدعاء وكسر هذه على الاستغاثة، والانتصار".

📖 الشرح:

يعني قال: أراد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يدعو الله وأن ينتصر بالمسلمين الموجودين، لما طعنه الكلب كما قال: طعنني الكلب أو أكلني الكلب، قال: "يا لله"، هذا دعاء، "وللمسلمين"، هذه استغاثة بهم، فهم مستغاث بهم، ليس مستغاث لهم، فكسر اللام ليشعر بالاستغاثة، وفتح اللام ليشعر بالدعاء.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "فقال: لو حدثت أحد لحدثك".

🖋️ الشرح:

لولا إني أظن بالتحديث لحدثتك.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال أبو عمر ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -: طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف - رحمهم الله -".

🖋️ الشرح:

اسمعوا هذه الجملة التالية فهي والله تكتب بهاء الذهب.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداها مجتهداً زل".

🖋️ الشرح:

من تعدى سبيل السلف عامداً ضل، والله من تعمد مخالفة منهج السلف فهو ضال مبتدع، ومن تعداه مجتهداً أو متأولاً ذل، ذل عن الصواب ولم يصيب، هذا في الحقيقة هذه الجملة شعار كبير، أصل في لزوم منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "أول العلم حفظ كتاب الله جل وعز وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه، فواجب طلبه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكن أقول: إن ذلك واجب لازم من أحب أن يكون عالماً ليس من باب الفرض".

🖋️ الشرح:

انتبهوا لهذه الجملة يقول: "لا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكن أقول: إن ذلك واجب"، هل يعني هذا أنه يفرق بين الفرض والواجب مثل الحنفية؟ لا، يقول: أن ذلك فرض عليه، أي أنه واجب شرعاً عليه، يأثم لو تركه، ولكني أقول: إنه واجب أي ثابت لازم له إن أراد أن يصير عالماً، فلن يصير عالماً إلا إذا حفظ القرآن.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فمن حفظه قبل بلوغه ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب، كان له ذلك عوناً كبيراً على مراده منه، ومن سنن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

🖋️ الشرح:

لا شك أن القرآن أصل الإتيان، والله يضبط اللسان، ويضبط الفهم، ويضبط العلم، ولذلك من كثرت عنايته بالقرآن تدرج في درجات الإتيان، ولذلك يا طالب العلم لا تهمل القرآن، لا تهمل القرآن

اجعله أنيساً وسميراً لك، واختر له أفضل أوقاتك، لا تجعل لأفضل الكلام أقل الأوقات عندك مكاناً، بل اجعل لأفضل الكلام أنفس وقت عندك، وأجل ما يكون أن تجعل ذلك قبل الفجر بساعة، تصلي ما شاء الله أن تصلي وتقرأ وردك، فهذا في الحقيقة يكون الذهن لم ينشغل بشيء، ويكون صافياً، فيعين على التدبر، لكن كل إنسان أعلم بنفسه، لكن لا تجعل للقرآن أقل وقت عندك، بل اجعل له أنفس الأوقات.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك وهو أمر قريب على من قرب به الله عليه. ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها يصل الطالب إلى مراد الله جل وعز في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاتاً. وفي سير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنبيه على كثير من الناسخ والمنسوخ في السنن.

ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ... إلى أن قال: فعليك يا أخي بحفظ الأصول، والعناية بها. واعلم أن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء فجعله عوناً له على اجتهاده، ومفتاحاً لطرائق النظر وتفسيراً لجمل السنن المحتملة للمعاني، ولم يقلد أحداً منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر".

🖋 الشرح:

يعني لم يقلد أحداً من الأئمة والعلماء تقليد النصوص التي يجب التسليم بها، فلا يوجد عالم يجب التسليم له، وإنما يؤخذ بقوله بحسب دليله.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها واقتدي بهم في البحث والتفهم والنظر وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه وحمدتهم على صوابهم - الذي هو أكثر أقوالهم - ولم يبرأهم من الزلل، كما لم يبرئوا أنفسهم منه. فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه والمعين لرشده والمتبع لسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهدى صحابته - رضي الله عنهم. وقال ابن الجوزي: وقد علم قصر العمر، وكثرة العلم، فيبدأ - أي الطالب - بالقرآن وحفظه، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفي عليك بذلك منه شيء. وإن صح له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحيح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك، وقد رتب العلماء من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب، ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني عنه كنسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقاربه، وأزواجه، وما جرى له، ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذاهب والخلاف

وليكن اعتماده على مسائل الخلاف، فليُنظر في المسألة وما تحتوي عليه، فيطلبه من مظانه، كتفسير آية، وحديث، وكلمة لغة".

📖 الشرح:

الفقهاء يقولون: **"من لم يعرف الخلاف لم يشم الفقه"**، فلا بد من معرفة الخلاف لمن أراد المكنة في الفقه، وأن يعرف أصول المختلفين وأدلتهم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وتشاغل بأصول الفقه، وبالفرائض وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم."**

هذه شذرات من توجيهات العلماء - رحمهم الله تعالى - لطالب العلم وهي خلاصة تجاربهم في طريق التعلم، أهدوها لنا حفاظاً على وقتنا ورعاية لتأسيسنا على النهج القويم، فلا نحد عن طريقهم لنلا يقع الخلل في معلوماتنا، فتخوننا ونحن أحوج ما نكون إليها. من لم يشافه عالماً بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون.

ورحم الله ابن عبد البر إذ نعى طلاب العلم في زمنه فقال: واعلم - رحمك الله - أن طلب العلم في زماننا هذا، وفي بلدنا، قد حاد أهله عن طريق سلفهم، وسلخوا في ذلك ما لا يعرفه أئمتهم، وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم".

📖 الشرح:

👉 **وذلك بأمرين:** بالتخليد الذي لا ينظر فيه إلى الدليل، وبمخالفة عقيدة الأئمة، فصار الناس يلزمون قول الإمام لا يحيدون عنه، ولو بأن الدليل بخلافه، وصاروا يتبعون الأئمة في الفقه ولا يرتضونهم أئمة في العقيدة، فيقول الواحد منهم إنه مالك المذهب أشعري المعتقد، رضي مالكا رَحِمَهُ اللهُ إماماً في الفقه وما رضيهِ إماماً في العقيدة حتى حاد عنه إلى غيره، ويا ليتَه أصاب عقيدة غيره، بل إن غيره الذي ينتسب إليه قد ترك وتبرأ ما ينتسب إليه هؤلاء اليوم.

👉 **فالشاهد:** أن ابن عبد البر يشير إلى الأمرين: تقليد الأئمة حتى يترك الدليل من أجل الإمام، وترك عقائد الأئمة إلى غيرهم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وقد رتب ابن الجوزي جدولاً للطلاب يبلغ به المنتهى فقال: وأول ما ينبغي أن يكلف - أي طالب العلم - في صباه - حفظ القرآن متقناً، فإنه يثبت ويختلط باللحم والدم، ثم مقدمة في النحو يعرف بها اللحن، ثم الفقه مذهباً وخلافاً، وما أمكن بعد هذا من العلوم فحفظه حسن."**

ويضاف إلى ذلك النظر في متون الحديث ومصطلحه، ليكون الفقه مبنياً على القرآن، وما صح عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيبلغ صاحبه الذروة في الفضائل.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله تعالى - : أما العلم النافع فهو: العلم المزكي للقلوب والأرواح، المثمر لسعادة الدارين، وهو ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث وتفسير وفقه وما يعين على ذلك من علوم العربية بحسب حالة الوقت، والموضوع الذي فيه الإنسان.

وتعيين ما يشتغل به من الكتب يختلف باختلاف الأحوال والبلدان. والحالة التقريبية في نظرنا هنا: أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به فإن تعذر أو قصر عليه حفظه لفظاً، فليكرره كثيراً حتى ترسخ معانيه في قلبه".

📖 الشرح:

العلماء يقولون: يحسن بطالب العلم أن يكون له أصل في الفن يضبطه، إما حفظاً وإما بتكراره كثيراً حتى يرسخ في ذهنه وإن لم يحفظ ألفاظه، ليضبط الفن نفسه، فيعرف مسائل الفن وترتيب المسائل، ونحو ذلك.

← قال رحمه الله: "ثم تكون باقي كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذي أدركه وعرفه.

فلو حفظ طالب العلم العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وثلاثة الأصول وكتاب التوحيد للشيخ محمد، وفي الفقه مختصر الدليل".

📖 الشرح:

يعني دليل الطالب نفسه، نفس الدليل.

"و مختصر المقنع"، يعني زاد المستقنع.

"وفي الحديث بلوغ المرام، وفي النحو الأجرومية"، إن شاء الله في المحاضرة التي وعد

بها سأذكر ترتيب الكتب في كل فن.

← قال رحمه الله: "واجتهد في فهم هذه المتون، وراجع عليها ما تيسر من شروحاتها،

أو كتب فنّها فإنها كالشروح لها؛ لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول وصار له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار، ومن ضيع الأصول حرم الوصول.

فمن حرص على هذه العلوم النافعة، واستعان بالله، أعانه وبارك له في علمه، وطريقه الذي سلكه، ومن سلك في طلبه للعلم غير الطريقة النافعة فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلا العناء، كما هو معروف بالمشاهدة والتجربة.

فهذا اقتراح مفصل من الشيخ - رحمه الله تعالى - حري بالاعتناء وقد استقرينا تراجم علمائنا فما منهم من خرج عن هذا السبيل، وبذلك حازوا قصبات السبق.

وليكن معلوماً لدى طالب العلم أن حثنا على حفظ مختصر في الفقه ليس دعوة إلى التقليد المذموم، وإنما هو لفوائد شتى، منها امتلاك الطالب أساساً قوياً في هذه المادة

الشاهقة الارتفاع وحصر ذهنه في المسائل الموجودة في هذا المختصر لئلا تختلط عليه المسائل، فلا يستطيع التمييز بين أحكامها والسعي في تدرجه إلى مراحل الاجتهاد درجة درجة، وأول السلم هذه المختصرات".

✍ الشرح:

﴿ أيضًا من فوائد المختصر: ﴾ أن العامة صاروا ينظرون إلى علم الإنسان إذا كان يحفظ المتن المشهور في البلد، فإذا كان لا يحفظ المتن المشهور في البلد لا ينظرون إليه على أنه عالم، فإذا حفظ طالب العلم المتن المشهور في بلده فإن هذا يعينه على الوصول إلى الناس بدعوته، وتقريب الحق للناس، وتقريب الناس من الحق، ولذلك أنا دائماً أنصح الإخوة أنه إذا أراد أن يختار متناً فمن مقومات الاختيار النظر إلى المتن المشهور في البلد الذي يعرفه الناس، ويعتبرون من يحفظه شيخاً وعالمًا.

﴿ قال رحمه الله: ﴾ "وليس معنى حفظها العمل بكل ما فيها، إذ لابد من معلم تقرأ عليه، فيوضح غامضها ويحل مشكلها، ويبين الراجح من المرجوح فيها. والدخول في هذا المبحث مما يستدعي إطالة لا نريدها هنا إلا أنني أنقل أحرفاً عن المصنف الكبير المربي الفاضل العلامة الذهبي - رحمه الله - إذ جعل لكل إنسان منزلته".

✍ الشرح:

يعني كان الذهبي يعلق على قول أحد العلماء إنه يجتهد في المسائل ولا يقلد، فذكر أصناف الناس. ﴿ قال رحمه الله: ﴾ "فقال: من بلغ رتبة الاجتهاد وشهد له بذلك عدة من الأئمة لم يسغ له أن يقلد. كما أن الفقيه المبتدئ، والعامي الذي بحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهد وماذا يقول؟ وعلام يبني؟".

✍ الشرح:

يعني أن آلة الاجتهاد ليست متوفرة فيه، فكيف يجتهد.

﴿ قال رحمه الله: ﴾ "وكيف يطير ولما يُريش؟

والقسم الثالث: الفقيه المنتهي، اليقظ الفهم المحدث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو وشارك في الفضائل، مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره، وقوة مناظرته فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضع له الحق في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل به أحد الأئمة الأعلام... فليتبع فيها الحق، ولا يسلك الرخص، وليتورع ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليداً".

✍ الشرح:

ولذلك نحن نقول: إن الراجح أن الناس ينقسمون ثلاثة أقسام: مجتهد، ومتبع، ومقلد.

مجتهد: وهو الذي يسوغ له الاجتهاد، ومقلد: وهو الذي يتعين عليه التقليد لأنه لا يعرف الأدلة ولا النظر في الأدلة، ومتبع: وهو هذا الذي ذكره الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "فرحم الله امرأً عرف قدر نفسه، ولم يرفعها فوق منزلتها، وأخذ العلم على طريقة سلفه، والله المستعان.
العائق السادس: الغرور والعجب والكبر".

📖 الشرح:

العلم نور يحتاج إلى محل قابل، والمعاصي ظلمة تطفئ النور، فطال بالعلم بحاجة عظيمة للتقوى، والتحرز عن الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، حتى لا تظلم بقلبه، وتحول بينه وبين العلم، ومن المعاصي المعيقة لطالب العلم عن تحصيل العلم وعن الانتفاع بالعلم الغرور، والعجب، والكبر، والغرور هو تعاضم الإنسان في نفسه، ورفعها لها فوق قدرها، وترفعه على غيره، والعجب هو الغلو في تقدير الإنسان نفسه، وغطرسته على الآخرين.

والكبر هو التعاضم والتجبر، ودفع الحق واحتقار النفس، وهي أمور متقاربة، فالواجب على طالب العلم أن يكون حذرًا وليتذكره ضعفه، وإذا أعجبت نفسه فليذكره نفسه بما لا يعلمه الناس عنه، ولينظر إلى من هو أعلى منه في العلم، حتى يعرف قدر نفسه، وليذكر نفسه بأن ما يجمله أكثر مما يعلمه، وليخوف نفسه من عاقبة الكبر في الدنيا والآخرة، وقد قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: "من وقى خمساً فقد وقى شر الدنيا والآخرة"، هذا في طالب العلم وغير طالب العلم، لكنه في طالب العلم أعظم، "العجب والرياء والكبر والإزراء والشهوة"، ذكره أبو نعيم في الحلية.

فطالب العلم ينبغي عليه أن يتفقد نفسه بهذه الأمور الخمسة: "العجب" فإن وجد شيئاً فليطفئه، "والرياء" فإن وجد شيئاً فليدفعه، "والكبر" فإن وجد شيئاً فليحمل نفسه على التواضع، "والإزراء" بالآخرين فإن وجد شيئاً من ذلك فليذكر نفسه كيف كان؟ وكيف صار؟ وكيف هو بالنسبة إلى غيره؟ "والشهوة" فإذا وجد أن الشهوة تغلبه فليعالج نفسه حتى يكون على خير.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "معصية الله تعالى عانقة عن مي العلم الشرعي، لأنه نور الله يقذفه في أفئدة من يشاء من عباده، ولا يجتمع في قلب نور وظلمة، ولذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب أن الرجل ينسي العلم قد علمه بالذنوب يعلمه. ورحم الله الشافعي حيث قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي	فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور	ونور الله لا يهدي لعاصي

وإن أقبح ما تلبس به طالب العلم من المعاصي - وكلها قبيح - التكبر والتعظيم والغرور، فيزدري هذا ويترفع عن هذا، ويتبختر في المشي، ويتشدد في الكلام، إلي غير ذلك من صفات العجب بالنفس، التي نهى الله تعالى عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

🔍 الشرح:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، أي مختالاً متكبراً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، فالمختال الفخور المتكبر لا يحبه الله، فكيف يفلح؟ وكيف ينجح؟ وكيف يسعد؟ ومع ذلك فإنه لن ينال بكبره شيئاً يتقدم به على غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، يعني مع هذا الكبر ما الذي ستستفيده؟ هل ستقدم على الناس بهذا الكبر؟ بل سيحتقرك الناس، ولن تحصل شيئاً.

إذاً المتكبر سيبوء بأن الله لا يحبه، ويبوء بالإثم، ولا يستفيد شيئاً من كبره.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "المرح: التبخر، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣) [القصاص: ٨٣]."

🔍 الشرح:

أي تلك الدار الآخرة التي فيها النعيم المقيم، نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق، ولا على الخلق، ولا فساد في الأرض، ولا ظملاً للناس، وهؤلاء هم المتقون، والعاقبة لهم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته، إذا خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»".

🔍 الشرح:

وهذه عقوبة معجلة في الدنيا، فالكبر من أسباب تعجيل العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر للمتكبر من زلة يوم القيامة وعذاب في النار، يعني المتكبر والعياذ بالله معرض لأن يعجل الله له العقوبة في الدنيا، مع ما يلحقه من الذل حتى أنه يحشر مثل الذر، مع ما هو متوعد به من عذاب يوم القيامة.

← **قال رحمه الله: "قال ابن الجوزي - رحمه الله -: أفضل الأشياء التزيد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً استبد برأيه، فصار تعظيمه لنفسه مانعاً من الاستفادة".**
 ✍ **الشرح:**

يعني كن طالباً علم ما حييت، حتى إذا صرت شيخاً تدرس اذهب واجلس في حلقة شيخ من شيوخك، بل حتى ولو من أقرانك، دائماً اجعل نفسك تطلب العلم، ومما يكسر نفسك عن العجب والكبر أن تحضر في محاضرة لشيخ، أن تحضر درساً لشيخ ونحو ذلك، فإن في هذا تهدياً للنفس، لا تشعر نفسك يوماً أك عالم، كن دائماً توقن أنك طالب علم، وهكذا العلماء الشيخ صالح الفوزان حفظه الله قالوا له: أنت عالم؟ قال: لا، أنا طالب العلم، العالم ابن باز.

← **قال رحمه الله: "قال: غير أن اقتصار الرجل على علمه إذا مازجه نوع رؤية للنفس حبس عن إدراك الصواب نعوذ بالله من ذلك".**

✍ **الشرح:**

إذا ظن الإنسان أنه صار عالماً ولا يحتاج إلى غيره، ولا يحتاج إلى مراجعة كلام غيره يربي ذلك في نفسه الكبر، فيصبح أعمى في كثير من الأحيان عن الصواب.

← **قال رحمه الله: "وصدق على بن ثابت حينما قال: العلم آفته: الإعجاب والغضب والمال آفته: التبذير والنهب".**
قال أيوب السخيتاني: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله".

✍ **الشرح:**

ليس المقصود أن يضع التراب حساً، ولكن المقصود أن يذل نفسه أمام نفسه، فهو يشعر نفسه دائماً بضعفه.

← **قال رحمه الله: "وقالوا المتواضع من طلاب العلم أكثر علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء".**

الشرح:

لا شك أن من ظن أنه وصل فقد جهل، لا يزال الإنسان بخير ما علم أنه يحتاج أن يتعلم، فإذا ظن أنه وصل فقد جهل، فلا منتهى لطلب العلم إلا بالموت كما سيأتينا إن شاء الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

← **قال رحمه الله: "وقيل لحكيم: ما النعمة التي لا يحسد عليها صاحبها؟ قال: التواضع، قيل له: فما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه؟ قال: العجب. فليحذر الطالب من هذه الصفات الذميمة التي يمقتها الله ويمقتها المؤمنون، فإن من تواضع لله رفعه، وضده: من لم يتواضع لله سفل. وإذا حدثته نفسه بشيء من ذلك فليذكر مآله ومصيره، وليعلم أن هناك من هو أصغر منه سنًا، وأكبر منه علمًا.**

ولقد بلينا في هذا الزمن بشرذمة قليلة - والله الحمد - يقرؤون كتاباً أو كتابين، ويحفظون مسألة أو مسألتين، ثم بعد يوم أو يومين - من أعمارهم في الطلب - يصبحون مجتهدين، وليتهم يقتصرون على هذا الخيال الكاسد بل يستصغرون غيرهم من العلماء، بله طلبه العلم والدعاة، ويرون لأنفسهم مكاناً عالياً لا يصل إليه أحد، يظهر ذلك على ملابسهم، ومشيمهم وكلامهم فإننا لله وإنا إليه راجعون، وما أعظم ضررهم، وأقل نفعهم، وأمتن جهلهم، نسأل الله تعالى أن يهديهم سواء السبيل.

والى هؤلاء أسوق فضلاً نفيساً لابن الجوزي - رحمه الله - حيث يقول: انتقدت على أكثر العلماء والزهاد: أنهم يبطنون الكبر. فهذا ينظر من موضعه وارتفاع غيره عليه، وهذا لا يعود مريضاً فقيراً يرى نفسه خيراً منه.

وقل من رأيت إلا وهو يرى نفسه، والعجب كل العجب ممن يرى نفسه، أتراه بماذا رآها! إن كان بالعلم فقد سبقه العلماء، وإن كان بالتعبد فقد سبقه العباد... إلى أن قال: ومن تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب، والتقصير، وهو من حال غيره على شك.

فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أحوال الآخرة والمؤمن الحق لا يزال يحتقر نفسه.

وقد قيل لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: إن مت ندفنك في غرفة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك، أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك.

قال في تهذيب الإحياء: والكبر بالعلم، وهو أعظم الآفات، وأغلب الأدواء، وأبعدها عن قبول العلاج، إلا بشدة شديدة وجهد جهيد، وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله، عظيم عند الناس، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما.

ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين: أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش، إذا لم يقض نعمة الله عليه في العلم".

📖 الشرح:

يذكر نفسه أن الحجة قائمة عليه، فإذا كان الكبر من العامي قبيحاً فهو من طالب العلم أقبح وهو من شيخه أقبح، فيذكر نفسه بأن الحجة قائمة عليه.

← **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عَزَّ وَجَلَّ وحده، وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تعالى: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن يناز عني عذبتة»".**

📖 الشرح:

هذا الحديث في صحيح مسلم، فمن الكبائر: أن ينازع العبد ربه في الكبرياء والعظمة، والواجب عليه أن يتواضع ولا يترفع.

← **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».**
فقال الرجل: أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، والكبر بطر الحق، وغمط الناس».

غمط الناس: احتقارهم".

📖 الشرح:

هذا الحديث عند مسلم في الصحيح، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فالذي في قلبه شيء من كبر ولو كان قليلاً جداً مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، فهو متوعد بعدم دخول الجنة، وهذا دليل على أن القليل من الكبر كبيرة، فكيف بالكثير، نعوذ بالله من سوء الحال، **"فقال الرجل"**، قيل أنه ابن مسعود، **"أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟"** أي هل هذا من الكبر، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله جميل يحب الجمال»**، وهذا يدل على أن التجمل في الملبس من غير ترفع على الناس محمود شرعاً، لأن الله يحب الجمال.

«والكبر بطر الحق»، أي رد الحق أنفة، أما من رد الحق لأنه لم يظهر له دليله مثلاً أو متأولاً لا يدخل في هذا، وإنما الكبر رد الحق أنفة، **«وغمط الناس»**، أي احتقار الناس وازدراءهم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "العائق السابع: استعجال الثمر".

✍ الشرح:

طالب العلم يعلم أنه يسير في طريق ليس له منتهى إلا الجنة، ولا توقف فيه، ولا تأخر عنه، ثمرة أنه عبادة لله، يتقرب بها إلى الله، فلا يمل من المسير، ولا يقول لنفسه: إلى أين أسير، ولا يقول لنفسه: أنا ماذا حصلت بعد هذه السنين فتترك الطريق ويتخلف عن الركض، كما أنه لا يعد نفسه من العلماء بعد أن يقرأ كتاباً أو كتابين، أو يمضي سنة أو سنتين، بل ولا يعد نفسه من العلماء معاشاً، وإنما الذي يشهد له بذلك الناس، كما قلت لكم: قيل للشيخ صالح الفوزان حفظه الله: أنت عالم؟ قال: لا، أنا طالب علم، العالم بن باز.

فطالب العلم الموفق مهما جمع من العلم لا يرى نفسه عالماً، وإنما يشهد له الناس بالعلم، فمن العوائق القاطعة عن الطلب يأساً أو كبراً استعجال الثمر، فإن يأس طالب العلم من حصول الثمر انقطع وترك، ولا ييأس طالب العلم من حصول الثمر إلا لقصر النظر، وإلا فالمدرّك كما قلنا يعلم أنه يعبد الله ولو لم يحصل شيئاً، فكيف وهو لا بد أن يحصل، وإن تكبر طالب العلم بما حصل انقطع عن الطلب، وانقطع عن مجالسة أهل العلم ومدارسة العلم، بل قد ينقطع حتى عن القراءة، سمعت أحدهم يقول: أنا لا أحتاج إلى التحضير، أنا ما أحتاج.

والله إن القراءة لطالب العلم كالماء للشجر، والله إني أطرح المسألة من سنين، واهاب أن أطرحها بدون أن أراجعها، هكذا علمنا شيوخنا، فطالب العلم إن استعجل الثمر إما أن ييأس فيترك، وإما أن يتكبر لأنه يرى بحفظه لكتابين أو قراءته لكتابين أو لإمضائه ثلاث سنين أو أربع سنين أنه صار عالماً، فيستعجل حصول الثمرة، وهي لما تحصل فينقطع عن المدارسة.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "يظن بعض الطلبة أن العلم لقمة سائغة أو جرعة عذبة، سرعان ما

تظهر نتائجها، وتتبين فوائدها.

فيؤمل في قرارة نفسه أنه بعد مضي سنة أو أكثر أو أقل - من عمره في الطلب - سيصبح عالماً جهبذاً، لا يدرك شأوه، ولا يشق غباره".

✍ الشرح:

يعني بعض طلاب العلم يقول أنه إذا أمشى سنة أو سنتين سيصبح شيخ الإسلام، **ولذلك إذا**
مرت الستان لا يخلو من حالتين: إما أن يصدق نفسه أنه صار شيخ الإسلام، وإما أن يرى أنه ليس
 أهلاً لطلب العلم، وهاتان نتيجتان فاسدتان مبنيتان على مقدمة فاسدة، فطلب العلم كما قلنا: هو عبادة
 في ذاته، وثماره رزق من الله، وهو من أعظم الرزق، ويأتي للإنسان بحكمة، نعم والله من الناس لو
 حصل العلم في أول أمره لفسد، والله حكيم عليم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

← **قال رحمه الله:** "وهذه نظرة خاطئة وتصور فاسد، وأمل كاسد أضراره وخيمة،
 ومفاسده عظيمة، إذ يفضي بصاحبه إلى ما لا تحمد عقباه، من القول على الله بغير علم،
 والثقة العمياء بالنفس، وحب العلو والتصدر... وينتهي مطافه بين هذه الأشياء إلى هجر
 الانتساب للعلم وأهله.
 ولقد أصاب المأمون عندما قال - متهمكاً بهذا الضرب من الطلبة -: يطلب أحدهم
 الحديث ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أهل الحديث.
 والناظر إلى حال السلف يرى عجباً من صبرهم على مرارة التحصيل، وطول الجادة،
 لا يفترون ولا يتقاعسون، ولا يستكبرون، شعارهم: (العلم من المهد إلى اللحد)، (العلم من
 المحبرة إلى المكبرة)".

🖋️ الشرح:

دخل جماعة على سفيان الثوري **رحمه الله** في مرضه الذي مات فيه فحدثه رجل بحديث أعجبه،
 فأخرج سفيان ألواحاً فكتب الحديث **رحمه الله**، لم يشغله عن ذلك شدة المرض وهو مرض الموت
 الذي مات فيه، وشيخنا الشيخ ابن عثيمين **رحمه الله** وقد أصيب بهذا الذي يسمى السرطان وتمكن
 منه وكان في جدة، وقد صغر حجمه جداً، وكان يعيش على الأكسجين، أراد أن يذهب ليلقي درساً في
 المسجد الحرام، فقال لابنه: قل لهم: يحضرون لنا سيارة، فتأخروا، فقال لابنه: إما أن يحضروا سيارة
 وإما أن نذهب في تاكسي، فأحضروا السيارة وذهب وألقى الدرس وأسطوانة الأكسجين بجواره،
 والذي يسمع الدرس ويعرف صوت الشيخ يعرف كيف كان الشيخ متأثراً **رحمه الله عز وجل** أثناء
 الدرس.

وفي الطريق يقول لابنه: انظر كم كان يفوتنا من الخير لو ما ذهبنا، ومات **رحمه الله** بعدها بأيام.
 ← **قال رحمه الله:** "قال الإمام ابن المديني: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال:
 لنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب".

📖 الشرح:

وكان بعض السلف لا يكاد ينام في الليل كلما غفلت عينه تذكر فائدة فقام يكتبها، يقول ابن أبي حاتم علق البخاري رحمهم الله **عَزَّ وَجَلَّ**، يقول: كنت معه في سفر، وكان يجمعنا سقف واحد، فكان يضطجع على فراشه لينام، فتمر بخاطره الفائدة، فيقوم من فراشه ويأخذ القداحة ويوقد السراج، ويخرج أحاديثه فيعلم عليها، ثم يطفأ السراج ويضطجع لينام فتمر به الفائدة فيقوم هكذا دأبه، يصنع ذلك في الليلة الواحدة من خمسة عشر إلى عشرين مرة، وكان يصلي بالسحر ثلاثة عشر ركعة.

يعني من أول ما يضع كما يقولون: رأسه على المخدة لينام، كلما نام قليلاً تذكر فائدة وقام يكتب، ويشعل السراج ويخرج الألواح ويكتب ويعلم الفائدة، ثم يرجع يفعل ذلك خمسة عشر مرة أو عشرين مرة، ومع ذلك في آخر الليل يصلي ثلاثة عشر ركعة، وقال أبو إسحاق المرادي: جاورت الحافظ المنذري ثنتي عشر سنة فلم استيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل إلا وجد ضوء المصباح في بيته، وهو مشغول بالعلم، حتى كان في حال الأكل الكتب عنده يشتغل بها، السلف كان عندهم حرص شديد وجلد عظيم، لأنهم أدركوا عظمة ما يطلبون.

← **قال رحمه الله: "وقال الإمام الشافعي: لا يبلغ في هذا الشأن رجل حتى يضر به الفقر ويؤثره على كل شيء".**

📖 الشرح:

"لا يبلغ في هذا الشأن"، يعني في العلم، **"رجل حتى يضر به الفقر"**، من إقباله على العلم، لا يهتم بجمع المال، ويعطي وقته كله أو أكثره للعلم، فيكون فقيراً، **"ويؤثره"**، أي يؤثر العلم: **"على كل شيء"**، فالعلم كما قيل: إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، قال عيسى بن موسى: مكثت ثلاثين سنة اشتهي أن أشارك العامة في أكل هريسة السوق، فلا أقدر على ذلك لأجل البكور إلى سماع الحديث، ثلاثون سنة وهو يشتهي أن يأكل هذه الحلوى في السوق، لكن ما استطاع، لم؟ لأنه يخرج مبكراً لطلب الحديث.

وقيل للشافعي: كيف طلبك للعلم؟ قال: طلب المرأة المضلة لولدها ليس لها غيره، تصوروا الصورة، امرأة عندها ولد واحد وفقدته، كيف تطلبه؟ يقول الشافعي: أنا أطلب العلم هكذا، كطلب

المرأة المضلة لولدها قد فقدته وليس لها غيره، وجاء في ترجمة أبي جعفر أحمد القصري أنه كان ربما باع بعض ثيابه واشترى بثمانها كتباً، أو ورقاً لنسخ كتاب، وقال ابن القاسم: أفضى طلب العلم بالإمام مالك إلى أن نقض سقف بيته، فباع خشبه، ما كانوا ييخلون عن العلم بشيء.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وقال ابن حمزة قال لي يعقوب بن سفيان - الحافظ الإمام -: أقمت في الرحلة ثلاثين سنة".

📖 الشرح:

يعني في رحلة واحدة قضى ثلاثين سنة، خرج وما عاد إلا بعد ثلاثين سنة، وابن منده رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رحل من بلده لطلب العلم وعمره عشرون سنة، وما رجع إليها إلا وعمره خمس وستون سنة، فتزوج ورزق بالأولاد، قضى خمسة وأربعين عاماً في رحلة، ما تزوج، يطلب العلم، حتى رجع إلى بلاده وقد بلغ خمس وستين سنة فتزوج، ورزقه الله عَزَّ وَجَلَّ بالأولاد، وقال أبو حاتم الرازي لابنه عبد الرحمن: يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ، يعني أكثر من ستة آلاف كيلو متر.

مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ستة آلاف كيلو متر، وقال ابن القاسم تلميذ الإمام مالك: أخت بباب مالك سبعة عشر سنة، ما بعت فيها، ولا اشتريت شيئاً، فبينما أنا عنده ذات يوم إذ أقبل حجاج مصر، معروف أن ابن القاسم من مصر، أي إلى المدينة، فإذا شاب ملثم قد دخل علينا ونحن في المسجد، يعني في المسجد النبوي، فسلم على مالك، ثم قال: أفيكم ابن القاسم؟ فأشاروا إلي، فأخذ يقبل بين عيني، ووجدت فيه رائحة الولد، فإذا هو ابني الذي تركت أمه حاملاً به قد شب وصار رجلاً.

وقال ابن خراش: شربت بولي أثناء الرحلة لطلب العلم خمس مرات، وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: تأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض وأنا في طلب العلم -رحمهم الله-.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وقال يحيى بن كثير: لا يستطيع العلم براحة الجسد".

📖 الشرح:

لا شك، لا شك أن من أثر الراحة فاتته الراحة، ومن لزم الوسادة لم يبلغ في العلم منازل السادة، لا بد من التعب، ولا بد من الجلد، ولا بد من الصبر، حتى يبلغ العبد مبلغاً من هذا العلم.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقال ابن الحداد المالكي: ما للعالم وملانمة المضاجع".

📖 الشرح:

قال النضر بن شميل: "لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع ونسى جوعه"، "لا يجد الرجل لذة العلم حتى"، يعني حتى يصل إلى درجة أن يجوع وينسى جوعه من أجل العلم، وقد عرفت شيخاً يدخل مكتبته ويوضع له طعامه، ويرفع الطعام وقد برد ما مسه، من اشتغاله بكتبه، وقال يحيى بن أبي كثير: لا يستطيع العلم براحة الجسد، وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ينال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر، يعني حتى يشتغل الإنسان به عن كل شيء، حتى يصير فقيراً من أجل ذلك.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فعلي طالب العلم أن يتأسى بهؤلاء الأئمة، وأن يحذوا حذوهم، حتى ينال مناه، ويدرك بغيته، فإن منهجهم سليم، وطريقهم قويم وما حصل لهم ما حصل من ذكر حسن، ونفع مستمر للمسلمين إلا بالصبر والمثابرة، وازدراء كل ما يبذل من مال، ووقت في سبيل العلم والمعرفة. وختاماً أذكر محاوراً بين اثنين، تبين قيمة العلم ومكانته العالية وأنه لا يحصل إلا لمن بذل فيه كل شيء، على حد قولهم: أعط للعلم كلك يعطيك بعضه".

📖 الشرح:

وهي محاضرة افتراضية، يعني ليست محاضرة محاورة واقعة، وإنما هي من المقامات.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال رجل لآخر: بم أدركت العلم؟ قال: طلبته فوجدته بعيد المراد، لا يصاد بالسهام، ولا يرى في المنام، ولا يورث عن الآباء والأعمام".

📖 الشرح:

لا شك، ولا شك أن هذا حال العلم.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فتوسلت إليه بافتراش المدار، واستناد الحجر، وإدمان السهر وكثرة النظر، وإعمال الفكر ومتابعة السفر، وركوب الخطر: فوجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس ولا يغرس إلا في النفس، ولا يسقي إلا بالدرس. رأيت من يشغل نهاره بالجمع، وليله بالجماع هل يخرج من ذلك فقيهاً؟ كلا والله".

📖 الشرح:

"أرأيت من يشغل نهاره بالجمع"، يعني بجمع المال، "وليله بالجماع هل يخرج من ذلك فقيهاً؟ كلا والله"، لا يقصد أن طالب العلم يترك ما أحله الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن المقصود ألا يشتغل حتى ينشغل.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "إن العلم لا يحصل إلا لمن اعتضد الدفاتر، وحمل المحابر، وقطع القفار، وواصل في الطلب الليل والنهار. ولعل في هذه المحاوراة الظريفة ما يزيل الصورة المترسبة في أذهان بعض الطلبة: من أن العلم ينال في مدة وجيزة، وفرة قصيرة، فيواصلوا جهودهم، ويحتقروا مبذولهم، في طريق العلم والتعلم، حتى يفتح الله عليهم أبواب المعرفة والعلم ليصبحوا قادة في العلم، أنمة في الهدى".

📖 الشرح:

ولا شك أن قراءة سير السلف الصالح رضوان الله عليهم تجعل الإنسان يحتقر ما يقدم، ويرى أنه ما قدم شيئاً، حتى في رحلتنا اليوم لسنا مثلهم، ولا نعاني ما عانوه، وأنا أكلمكم أنتم كثير منكم الله أعلم كيف علمه أبوه؟ من أين جمع الأموال ليعلمه؟ وماذا تحمل؟ وهو يرجو من الله أن تنفعوا الأمة، والله لو لم يكن من حافز بعد الرغبة في إرضاء الله إلا هذا الحافز والله إنه ينبغي أن يجعلكم تحافظون على وقتكم محافظة عظيمة، إن كان أبوك قد مات فتذكر أنه علمك وأرسلك لتنفع الناس، وإذا كان أبوك حياً فتذكر أنه ينتظرك عالماً تعلم الناس.

فكن ظنيناً بوقتك، احرص على وقتك، لا تضيع وقتك، واجمع ما شئت من الدرر اليوم وأنت متفرغ لطلب العلم، فإنك إن برزت للناس شغلت، واحرص أيضاً يا أخي على عبادة الله، اعبد الله ولا سيما ما يخفى، احرص عليه حرصاً عظيماً، وانفع نفسك بهذا، فتزود من العلم وتزود من التقوى.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "العائق الثامن: دنو الهمة".

📖 الشرح:

الهمة أمر في القلب يشد العزيمة، ويسوق النفس إلى المسابقة إلى المعالي، وطالب العلم ينبغي أن يكون عالي الهمة ينظر إلى معالي العلم، ويستسهل الطريق ولا ترده المشاق، وإذا دنت الهمة عند طالب العلم أضاع وقته في السفساف، وانشغل بالشواغل، وانصرف عن طلب العلم بأشياء ربما هي لغيره مكرمة لكنها له منقصة، إذ لا ينتفع منه هو منها شيئاً، ولا ينفع أحداً بها، فليس هو من فرسانها، ولا

ممن إذا قال فيها شيئاً سُمع، بعض طلاب العلم تدنو همتهم، فينشغلون بها هو دون العلم، يأتي إلى المدينة يقضى أربع سنين على الأقل لا يجالس العلماء في الحلق، ولا يزاحم بالركب، وإنما ينشغل بأمور لا تنفعه هو لأنه قد استغنى عنها، ولا ينفع بها لو تكلم بها فهو من أهلها ولا يلتفت إليه.

قد تكون محمودة في حق غيره، لكنها في حقه ليست محمودة، بل هي منقصة، وقد أحسن الشيخ **رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** حيث ذكر هذا العائق الثامن بعد العائق السابع، فإن من قرا سير السلف في طلب العلم علت همته، وكان قوياً في طلب العلم بعيداً عن الكسل، شأنه أن يستعيز بالله من الكسل دائماً، حريصاً على الوقت، كان الحافظ الخطيب البغدادي يمشي وفي يده جزء يطالعه، كان يغتنم حتى وقت المشي، وقال ابن حبان **رَحِمَهُ اللَّهُ**: لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفين شيخ، فقال الذهبي معلقاً: كذلك فلتكن الهمم.

وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**: وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين: همة ترقيه وعلم يبصره ويهديه، فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من إحداها، أي من فواتها أو فوات إحداها، فيا طالب العلم احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإذا عزمت فتوكل على الله، واصبر وصابر ورابط في تقواه، وإذا استطعت ألا يسبقك أحد إلى فائدة فافعل، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

← قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "نرى بين صفوف العلم أناساً يمتلكون مواهب جليلة، وقدرات هائلة، تؤهلهم للزعامة العلمية، إلا أن دنو همتهم يحرق مواهبهم، ويزيل بهاء نبوغهم، فتجدهم يقنعون ببسير المعلومات، ويأنفون من القراءة والمطالعة، ويتشاغلون في الطلب والتحصيل".

📖 الشرح:

ومما يحزنني جداً أن هناك عدداً كبيراً من طلاب الجامعة الإسلامية يأتون من بلدانهم بهمم عالية قد حفظوا متون، استقامت ألسنتهم، وقوي ما يحفظون، فإذا جاؤوا إلى الجامعة ضعفت همهم، وربما فقدوا سلامة ألسنتهم، فصاروا يتحدثون بالعامية أو بلغة مكسرة تضيع معها قواعد النحو، وقل اعتنائهم بالعلم، والمرجو غير هذا، عكس هذا، أن يزدادوا في مدينة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

همة، فينبغي على طلبة العلم أن يتنبهوا، وألا يشتغلون، يقول لي أحدهم: والله يا شيخ كنا في فقر وعوز فكانت الهمة عالية، وجئنا هنا فرأينا أشياء ما رأيناها من قبل، فانشغلنا بها، وضعفت الهمة.

ينبغي أن نشكر الله على النعمة، وأن نغتني الوقت، وأن نحصر على علو الهمم.

← قال رحمه الله: "وهؤلاء سرعان ما تنزع ملكية قدراتهم، وتسلب بركة أوقاتهم، ذلك بأن كفر النعمة مؤذن برحيلها، كما أن شكرها مؤذن بمزيدها.
قال الفراء - رحمه الله تعالى -: لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل يفهم ولا يطلبه، وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم".

✍ الشرح:

"قال الفراء - رحمه الله تعالى -: لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين: رجل يطلب العلم"، يعني عنده جلد وطلب، "ولا فهم له"، قلتك هذا وإن كان نقصاً إلا أنه لا يضر طالب العلم، بل يحرص على الطلب، ويسأل الله الفهم، ولربما حمل علماً إلى من هو أفهم منه، فنشر ذلك فجمع بين أجر ما حمل وأجر ما تسبب فيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرئ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني.

فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بأن ينضره الله، فهذا وإن كان نقصاً لكنه لا يضر طال العلم، فطالب العلم إذا لم يجد جودة في الفهم، لكنه وجد قدرة على الحفظ فليحفظ، ولعله يعلم طلاباً ما حفظ فيكون أفهم منه، فينشر العلم عن هذا الطريق.

"ورجل يفهم ولا يطلبه"، هذا المغبون، هذا المغبون حقاً، الذي فاته خير كثير واجور كثيرة.

← قال رحمه الله: "وقال أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله - تعليقاً على قول أبي الطيب المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً	كنقص القادرين على التمام
----------------------------	--------------------------

وينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض.

ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد، رأيت المقصر في تحصيلها حضيض.... والسيرة الجميلة عند الحكماء: خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل.
قال: وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلا حصلها فإن القنوع حالة الأراذل.
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

ولو أمكنك عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل".

✍ الشرح:

يعني إن أمكنك أن تسبق غيرك في العلم فافعل، وإذا أمكنك أن تسبق غيرك في العبادة فافعل، هنا المسابقة، وهنا المزاومة، وهنا المصارعة، لا تقصر بنفسك عما تستطيع في هذا الباب الشريف في باب العلم وباب التعبد.

← قال رحمه الله: "فإنهم كانوا رجالاً وأنت رجل، وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها.

واعلم أنك في ميدان سباقٍ والأوقات تنتهب، فلا تخلد إلى كسل، فما فات ما فات إلا بكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم. فبا من آنس من نفسه علامة النبوغ والذكاء لا تبغ عن العلم بدلاً، ولا تشغل بسواه أبداً، فإن أبيت فأجبر الله عزاءك في نفسك، وأعظم أجر المسلمين فيك، ما أشد خسارتك وأعظم مصيبتك".

✍ الشرح:

هذه الأبيات للشيخ السعدي رحمه الله.

← قال رحمه الله:

دع عنك ذكر الهوى والمولعين	به وانهض إلى منزل عال به
تسلو بمربئه عن كل غالية	وعن نعيم لدنيا صفوه كدر
وعن نديم به يلهو مجالسه	وعن رياض كساه النور والزهر
انهض إلى العلم في جد بلا كسل	نهوض عبد إلى الخيرات يبتدر
واصبر على نيله المجد له	فليس يدركه من ليس يصطبر

وإن من أنفع الأمور التي تعين على علو الهمة: النظر في سير السلف - رضی الله عنهم - فإن أحوالهم غاية الكمال علماً وعملاً فإذا ما رآها الطالب ازدرى نفسه وقل عمله في عينه، فسعى للحقوق بالقوم، والتشبه بهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

قال ابن الجوزي: فالله الله عليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم، وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم.

✍ الشرح:

ولذلك أنا أحب كثيراً لطالب العلم أن يستصحب كتاب سير أعلام النبلاء معه دائماً يقرأ فيه كلما وجد وقتاً، هذا الكتاب مدرسة في الأدب والعلم، يحتاجه طالب العلم كثيراً، فجميل جداً أن يقرأه طالب العلم، وأن يعيد قراءته وأن يكرر قراءته.

« قال رَحِمَهُ اللهُ: "قال: وليكثر من المطالعة، فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشدّ خاطره ويحرك عزيمته للجد. العائق التاسع والعاشر: التسويف والتمني".

📖 الشرح:

التسويف: هو تأخير الحاضر المقدور عليه إلى غائب، أن تكون قادراً على شيء فتؤخر ذلك وتقول: سوف أعمل، والتمني: أن تتمنى الأماني، والتمني قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً، فيكون محموداً إذا كان الإنسان يتمنى ما لا يقدر عليه رغبة في الخير، فهذا محمود، ويكون مذموماً إذا كان الإنسان يتمنى ما يقدر عليه ولا يعمل، يتمنى فقط، أو يتمنى المعالي ولا يعمل لها، فيتمنى الجنة ولا يعمل بعمل أهل الجنة، يتمنى أن يصير عالماً وهو أكثر وقته يقضيه مع الجوال، هذا التمني مذموم، وهاتان الخصلتان أعني التسويف والتمني تتنافيان مع علو الهمة، وتعوقان طالب العلم عن بلوغ القمة، وحقيقتهما: أن يجعل طالب العلم بينه وبين المعالي في العلم عائقاً.

يرى أنه العائق الوحيد، فإذا انتهى منه بزعمه انطلق في ميادين العلم، مع استسهال المقصود، فإذا أراد حفظ القرآن مثلاً قال: حتى أنتهي من الكلية، وإن شاء الله أحفظه في ستة أشهر، ثم هذا العائق الوحيد يتسلسل، فكلما فرغ من عائق قام غيره مقامه، فإذا فرغ من الكلية قال: حتى أنتهي من الدراسات العليا، فإذا أنتهي من الدراسات العليا قال: حتى أتزوج، فإذا تزوج قال: حتى تسكن المرأة إلي وتألّفني، فإذا رزق بولد قال: حتى أربيّه تربية سليمة، ولا يزال كذلك حتى يرد القبر، وهناك يتمنى أن يرجع ليعمل صالحاً.

بعض الناس تقول له: لماذا لا تحضر عند العلماء في حلق أهل العلم؟ قال: حتى ننتهي من الكلية، إن شاء الله سأفرغ، وإذا أنتهي قال: والله قدمت للدراسات العليا عندهم اختبار، وإذا بدأ قال: والله

الرسالة، وأكثر وقته لعب وضياع، وهكذا هكذا وهكذا حتى لا يطلب العلم، فينبغي على طالب العلم أن يكسر هذا المسمى بالعائق الوحيد، وأن يتجاوزه، حتى يكون من أهل المعالي.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "التسويق: التأخير والمدافعة يقال: سوف الأمر، إذا قال سوف أفعل. ويطلق التسويق على الأمانى، يقال: فلان يقتات السوف: أي يعيش بالأمانى، قال الكميت":

وكان السوف للفتيان قوتاً	تعش به وهنت الرقوب
--------------------------	--------------------

الشرح:

كما قلنا: التسويق أن تؤخر الحاضر المقدور عليه إلى غائب، تستطيع أن تقرأ اليوم، تقول: غداً إن شاء الله، سأقرأ غداً، غداً غائب الله أعلم تكون مشغولاً أو غير مشغول.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والتمنى: حديث النفس بما يكون مستقبلاً وما لا يكون - أي مستحيلاً".

الشرح:

أي تحديث النفس بما يمكن أن يكون ولكن في المستقبل، فتقول مثلاً تحدث نفسك أن تصير عالماً، هذا تمنى، ويمكن أن يكون، تحدث نفسك أن تكون من أهل الجنة هذا تمنى، ويمكن أن يكون، أو "وما لا يكون"، ما لا تقدر عليه، ليس المقصود أنه مستحيل من كل أحد، وإنما المقصود أنك أنت لا تقدر عليه فتتمناه وتحدث نفسك به.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقيل إرادة تتعلق بالمستقبل. والتسويق والتمنى داعان خطيران، يفسدان القلب والوقت، ويعرجان بالمرء إلى عالم الخيال.

أما التسويق: فصفة بليد الحس، عديم المبالاة. كما همت نفسه بخير، وعاقها بـ (سوف) و(سأعمل) حتى يفجأه الموت فيقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].
فعلي طالب العلم أن يتنزه عن هذه المنقصة، ويبادر بالأعمال، عملاً بقوله تعالى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فهو أعرف الناس بقيمة الوقت، وأولاهم للانتفاع بقيمة الوقت وأولاهم بالانتفاع به كله".

📖 الشرح:

طالب العلم يعلم أن العلم بحور زاخرة، لن يبلغ الكادح فيه آخره، يدرك أن العلم بحر لا ساحل له، وأن عمره محدود، والله أعلم متى ينأى عليه، كم من زميل لنا كان يدرس معنا مات قبل أن يتخرج، وكم من زميل أعد الرسالة وقدمها للمناقشة وقبل أن يناقشها مات، لا يدري الإنسان متى ينأى عليه بالرحيل، فينبغي أن يتزود، وينبغي أن يعتني بالوقت، وأن يكون ظنيناً بوقته.

← قال رحمه الله: "وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

📖 الشرح:

وهذا الحديث عند البخاري، فينبغي لطالب العلم ألا يشتغل بالدنيا اشتغالا يلهيه عن طلب العلم، وأن يحرص على وقته وأن يغتنم الوقت الحاصل، فإنه لا يدري هل يدرك وقتاً غيره أو لا يدرك، فما حصل لك من الوقت فاغتنمه، واغترف من الخير فيه.

← قال رحمه الله: "قال ابن الجوزي: ومن أجال على خاطره ذكر الجنة التي لا موت فيها ولا مرض ولا نوم ولا غم، بل لذاتها متصلة من غير انقطاع، وزيادتها على قدر زيادة الجد ههنا: انتهب هذا الزمان، فلم ينم إلا ضرورة، ولم يغفل عن عمارة لحظة.

وأما التمني: فمنه ممدوح، ومنه مذموم.

أما الممدوح: فهو أن يتمنى فعل الخير المندوب ولا يستطيعه".

📖 الشرح:

هذه من صور الممدوح أن يتمنى المسلم فعل خير لا يستطيعه، علم أن أفضل الصوم صوم يوم وإفطار يوم، وتمنى أن يفعل هذا، لكن هو لا يستطيعه، فإذا عزم صادقاً في قلبه أنه لو استطاع لفعل كان كالفاعل.

← قال رحمه الله: "وله ثلاثة شروط:

الأول: العزم على الفعل متى ما قدر عليه.

الثاني: كونه في حدود الشرعيات، كتمني بناء مسجد ونحوه.

الثالث: أن لا يكون ديدن الإنسان".

✍ الشرح:

يعني ألا يغلب على الإنسان التمني، وإنما يغلب عليه العمل، لكن إذا علم خيرًا وهو لا يستطيعه يعزم صادقًا في قلبه أنه لو استطاع لفعل، مثل ما مثل الشيخ مثلاً ببناء مسجد، علم فضل بناء المساجد، لكن هو مسكين ما يستطيع أن يبني مسجد، فيتمنى لو بنى مسجدًا في قريته ويعزم عزمًا صادقًا أنه لو استطاع لفعل، فيكون كالفاعل، ويؤجر على ذلك.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وأما المذموم فقد عبر عنه ابن القيم - رحمه الله تعالى".

✍ الشرح:

المذموم منه أن يتمنى الإنسان ما يقدر عليه ولا يعمل، طالب العلم يستطيع أن يحفظ، يستطيع أن يقرأ، فيتمنى أن لو حفظ القرآن، لكن ما يعمل، هذا مذموم، أو يتمنى ما لا يستطيع وينشغل به عما يستطيع، كما قلنا: يتمنى أن يصوم يومًا ويفطر يومًا وهو يقدر أن يصوم ثلاثة أيام في كل شهر، لكن مع الأمانى لا يفعل المقدور عليه، فهذا مذموم.

← قال رَحِمَهُ اللهُ: "وأما المذموم فقد عبر عنه ابن القيم - رحمه الله تعالى في شرح

كلام شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي عن مفسدات القلب: المفسد الثاني من مفسدات القلب: ركوبه بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل:"

إذا تمنيت بت الليل مغتبطاً	إن المنى رأس أموال المفاليس
وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان	وخيالات المحتال والبهتان

✍ الشرح:

وقد يستعمله الشيطان ليصرف طالب العلم عن الاستماع للعلم، أحيانًا يكون طالب العلم جالسًا في الحلقة وذهب إلى الدرس، ما استطاع الشيطان أن يثنيه عن الذهاب، فماذا يفعل؟ يشغله بالأمانى، فإذا بدأ الشيخ يدرس ويقعد القواعد ويفصل ويبين، يأتيه الشيطان: الله لو كنت في فلسطين، وأطير، وعندي آلة اخترعها تدخل من تحت الأرض وتدمر البيوت، ولا تبقي أحدًا من هؤلاء

الصهاينة حتى ينتهي الدرس ويستيقظ ولا شيء، وهذا من مكر الشيطان، فينبغي لطالب العلم أن يحذر، وأن يتنبه.

أحد الإخوة يقول: يا شيخ والله في درسك تزوجت وأنجبت وريت ابني.

← قال رحمه الله: "فلا تزال أمواج الأمانى الكاذبة، والخيالات الباطلة، تتلاعب براكبه، كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيصة سفلية، وليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية بل اعتاضت عنها بالأمانى الدنية.. قال: فيتمثل المتمنى صورة مطلوبة في نفسه، وقد فاز بوصلها، والتذ بالظفر بها فبينما هو على هذه الحال، إذا استيقظ فإذا يده والحصير".

🔍 الشرح:

يعني في حال طالب العلم مع التمني أنه يحفظ القرآن بالأمانى، ويحفظ المتون بالأمانى، ويفوق شيخه علمًا بالأمانى، ويدعو إلى الله بالأمانى، فمما ينبغي على طال بالعلم أن يسعى ويعمل لتحقيق هذه الأمانى الخيرة، أما أن يكون زاده وسلاحه ورواكبه الأمانى فهذه بضاعة المفاليس.

← قال رحمه الله: "وأما أحسن ما قال أبو تمام:

من كان مرعى عومه وهمومه	روض الأمانى لم يزل مهزولا
-------------------------	---------------------------

وقد قيل لبعض الحكماء: من أسوء الناس حالاً؟ قال: من بعدت همته، واتسعت أمنيته، وقصرت آتته، وقلت مقدرته.
وقال آخر: تجنبوا الأمانى، فإنها تذهب ببهجة ما خولتهم، وتستصغرون بها نعمة الله عليكم".

🔍 الشرح:

إذا كانت الأمانى باطلة فهي محرمة، الذي تمنى فعل الحرام ونحو ذلك، وإذا كانت الأمانى طيبة ومشغلة عن المقدور عليه فهي أيضاً باطلة، أما إذا كانت الأمانى مما لا يقدر عليه الإنسان، لكن يتمناه لإرضاء الرحمن هذا حسن، أو كانت الأمانى بعيدة فيتمناها الإنسان مع اشتغاله بما يستطيع فهذا أيضاً ليس بمذموم.

← قال رحمه الله: "فليتجنب هذا المرض، وليحذر تمكنه منه، فإنه كالسرطان الفتاك،

قل من يبرأ منه.

فكمن صريع لا يفيق من سباته، ولا يفتنت من قيوده، أعاذنا الله وإياكم منه، وأشغلنا بالعمل الصالح عن الأمانى الكاذبة والخيالات الكاسدة، وأحلام اليقظة، التي تضيع الوقت، وتخفف الميزان.

قال الشاعر:"

تمنيت أن تمسي فقيهاً مناظراً	بغير عناء والجنون فنون
------------------------------	------------------------

الشرح:

لا شك الذي يتمنى أن يصبح عالماً خطيباً مفوهاً واعظاً بليغاً وهو قاعد لا يعمل شيئاً ينطبق عليه الجنون فنون.

← قال رحمه الله: "وهذه أبيات من قصيدة لي في هذا الموضوع:

واهاً لأيام الدراسة إنها	تكسو الفؤاد سعادة وتنفس
والمرء في زمن الصبا متوثب	خيلاً تغير على الخيال وتنهس
حتى إذا بلغ المدى وتكشفت	أحلامه عن سوءة لا تحبس
وجد المعيشة صعبة لا تقتنى	بالأمنيات ولا الزمان يؤنس
فاختر لنفسك غير أودية المنى	فالعطب في وادي المنى يترأس

شذرات من كلام العلماء عن العلم وطلبه:

١- قال الحسن البصري - رحمه الله -: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وبصره، ولسانه، ويده، وصلاته وزهده.
وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به، فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها".

الشرح:

نعم يا طالب العلم هذا ميزان احرص عليه، انظر إلى أثر العلم في تدينك، فإن رأيت أنك بالعلم تزيد من الله قرباً، وتحسن تدينك وتحسن استقامتك فاعلم أنك تصير سيراً حسناً في طلب العلم، وإلا فراجع نفسك.

← قال رحمه الله: "٢- قال الشافعي - رحمه الله -: العلم علمان: علم الدين، وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث".

الشرح:

المقصود أن العلم هو ما ينفع في دين أو دنيا، كل علم ينفع في الدين أو ينفع في الدنيا فهو علم نافع، مثل علم الهندسة ونحو ذلك، لكن أشرف العلم ما كان ينفعك.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٣- قال الأصمعي: إن ما أخاف على طالب العلم إذا لم النحو يدخل في جملة قوله عليه السلام: «من كذب على فليتبوأ مقعده من النار»".

🖋️ الشرح:

لا شك أن النحو ضروري تعلمه لطالب العلم، حتى يضبط العلم، ويضبط الجمل ويركبها تركيباً صحيحاً، ويعرف ما يحسن في لغة العرب وما يقبح، لا سيما إذا كان يعتني بنقل الجمل، فإنه إذا لم يضبطها قد يقلبها، ويجعل الفاعل مفعولاً به، وقد يجعل الحال صفة، فيأتي بالحال مكان الصفة، حيث يقبح أن يذكر حاله، ونحو ذلك، فتعلم النحو ضروري لطالب العلم، لا ينبغي لطلال بالعلم أن يزهّد نفسه في النحو، بل ينبغي أن يحرص على استقامة لسانه، وإن من الأمور العظيمة التي تعين على ذلك: أن يتحدث طالب العلم مع أقرانه باللغة الفصحى المضبوطة.

حتى إذا كان يتكلم مع زميل له من جنسيته يحسن أن يتحدث باللغة الفصحى، لما في ذلك من الفائدة وعظيم العائدة، وإذا قرأ ولو لوحده فليقرأ بالضبط، كان مشايخنا الذين يعلموننا يأبون علينا أن نسكن، أبداً، ومنهم انتفعنا، وساقوا سوقاً إلى ضبط النحو، وطالب العلم إنما يظهر بهاء العلم عليه باستقامة لسانه، فهذا اللباس الذي يقدم به طالب العلم للناس فينبغي أن يحرص على المقدار النافع من النحو، هناك تفصيلات، هناك تشققات قد لا يحتاجها طالب العلم، لكن الذي يؤلم ما نراه اليوم من زهد في النحو، ومن أساليب الفصاحة والبلاغة مما جعل كثيراً ممن يحسنون العلم لا يحسنون أدائه، وهذا أمر في الحقيقة لا يليق بطلاب العلم.

وعندما قال أنه يخشى على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قوله عليه السلام: «من كذب على فليتبوأ مقعده من النار»، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينطق بالفصحى، فإذا كان لا يضبط الفصحى قد ينقل الحديث على غير نطق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٤- قال سحنون بن سعيد: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم فيظن أن الحق كله فيه".

🖋️ الشرح:

وهذه أيضًا من الموازين لطالب العلم، إذا رأيت نفسك متشوقاً لأن تسأل، متسارعاً في الإفتاء، فاعلم أن هناك خللاً، وأصلح الأمر، المخلص يرجو أن يسأل غيره ولا يسأل، ولا يعجل في فتيا أبداً، بل إذا كان عارفاً أجاب، وإلا قال: لا أدري، ولا يعنيه أن يقول الناس: إنه لا يدري، بل يخاف أن يعلم الله منه أنه قال: إنه يدري وهو لا يدري.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٥- كان بعض الحكماء يقول: نفعا الله وإياكم بالعلم، ولا جعل حظنا منه الاستماع والتعجب".

📖 الشرح:

ليس العلم كثرة، وإنما العلم الخشية، أن ينفعك الله بالعلم، وأن تكون سبباً في نفع عباد الله بالعلم، وأنا قلت مراراً: السلف كانوا يتعلمون لينتفعوا، هذا مقصودهم، فإذا حصلوا نفعوا، مشكلتنا أن اليوم إذا سمعنا الخير حملناه على غيرنا، من الآفات التي أراها: أن طالب العلم منا إذا سمع كلاماً قال: الشيخ يقصد فلاناً، أنت المقصود، الشيخ لو أراد فلاناً لقال، نسمع في الخطب ونحرك رؤوسنا وربما نحن واقعون فيما يقوله الشيخ، لكن نحن نفكر في غيرنا، ينبغي عندما يأتي العلم أن نعرض أنفسنا عليه، وأن نعالج أنفسنا به قبل أن نفكر في غيرنا.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٦- قال سفيان الثوري: إذا ترأس الرجل سريعاً أضرب بكثير من العلم، وإذا طلب وطلب بلغ".

📖 الشرح:

طالب العلم إذا أظهر رأسه في أول أمره تصدع، أما إذا طلب وطلب وطلب وكابر، فإنه يضع الله له ما يشاء من القبول.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٧- قال العباس بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: جاء عبد العزيز الدراوردي في جماعة إلى أبي، ليعرضوا عليه كتاباً، فقرأه لهم الدراوردي، وكان رديء اللسان، يلحن لحناً قبيحاً، فقال أبي: ويحك يا دراوردي! أنت كنت إلى إصلاح لسانك قبل النظر في هذا الشأن أحوج منك إلى غير ذلك".

📖 الشرح:

كما قدمنا في ضبط اللسان.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٨- قال الزهري ليونس بن يزيد: لا تكابر العلم".

📖 الشرح:

نعم لا تكابر العلم، العلم متين، والعلم أودية، فخذ وأنزع برفق، أنزع برفق فإنك إن كبرت العلم غلبك، ولكن لا تقصر عما تستطيع، لا تفعل ما لا تستطيع أن تستمر عليه، ولا تقصر نفسك عما تستطيع.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "٨- قال الزهري ليونس بن يزيد: لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيتها أخذت فيها قطع بك قبل أن تبلغه".

📖 الشرح:

يعني إذا أردت أن تحصل العلم في فترة يسيرة ثق تمامًا أنك لم تحصل منه شيئًا، فخذ شيئًا فشيئًا.

← قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولكن خذ مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي".

📖 الشرح:

وبهذا نكون ختمنا هذا الكتاب الفريد، الذي رأيت أن جميعًا بحاجة ماسة لما فيه، فاصطفيته لأعرضه على أسماعكم، عالمًا أي أحوج الناس إلى ما فيه، وراغبًا في نفعكم، فوالله لو استطعت أن ألقمكم العلم للقمتمكم، والله إني أحب لكم خيرًا مما أحب لنفسي في هذا الباب، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقكم العلم، وأن ينفع بكم، وأن يجعلكم محافظين على هذا العلم النافع، يا إخوة إنا في صراع عقيدتنا مستهدفة، واليوم أصحاب العقائد المخالفة لعقيدة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعقيدة صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبدلون جهدًا كبيرًا للتلبس على الناس.

منهجنا مستهدف، أصحاب المناهج المخالفة يعملون جاهدين على نشر تلك المناهج وتزيينها وتقبيح منهج السلف والتحقيق من أهله، الفقه مستهدف استهدافًا عظيمًا، وتطرح أقوال يزعم أن مقاصد الشريعة تقتضيها، تخالف النصوص ووالله إن كل مقصد يدعى يخالف النص ليس من مقاصد الشريعة، العبادات الشرعية السنية مستهدفة بالطرق الصوفية والطرق المنحرفة، نحن ندرك أنه في زمن قريب ليس بعيد، ليس بعيدًا اندحرت هذه العقائد، وهذه الطرق المنحرفة بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ

ثم بجهد العلماء الأكابر، الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ، الإمام مقبل بن هادي رَحِمَهُ اللهُ، الشيخ صالح الحيدان رَحِمَهُ اللهُ، الشيخ صالح الفوزان حفظه الله، جهود، لكننا ندرك الآن أنها بدأت ترجع بقوة.

ترجع في الواقع في بلدان المسلمين، وهناك من يدعمها، ودول الكفر تمدها، وترجع في وسائل التواصل بأنواعها، ونحن على يقين أن هذا لن يكسر إلا بإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ وبعلم سلفي أصيل راسخ، وأنتم رجاله، الأمة تنتظركم، الأمة تعدكم، والله ستسألون، والله ستسألون إياكم أن يؤتى الدين من قبلكم، أنت على أعظم ثغر، على أعظم رباط، على رباط العقيدة السلفية والمنهج السلفي والعلم النافع، إياكم أن تغفلوا عن سلاحكم، وإياكم أن يؤتى الدين من قبلكم، والله إن أخلصنا لله إنا لمجاهدون، من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى: كل يبذل ما يستطيع.

أسأل الله أني جعل فيما سمعناه ما ينشطنا، ويدفع عنا الكسل، ويدفع عنا العوائق، أشكر لكم حضوركم، وقد امتلأ قلبي سرورا برؤياكم، والله إن رؤيتي لطالب علم عندي كرؤية لابن من أبنائي، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هذه المجالس نورا لنا في الدنيا، وخيرا وبركة في الآخرة، وأن يجعلها سببا لرضاء ربنا عنا، بارك الله في الجميع، وتقبل الله من الجميع، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.